□ عُلوُّ الهمَّةِ في الزُّهْد □

اعلمْ يا أخي أنّ « الدنيا عدوّةٌ للهِ عز وجل ، بغُرورِها ضَلَّ مَن ضلّ ، وبمكْرِها زلّ مَن زلّ ، فحبُّها رأسُ الخطايا والسّيِّئاتِ ، وبُغْضها والزُّهدُ فيها أمُّ الطاعاتِ ، وأُسُّ القُربات ، ورأْسُ المُنْجيَات »[1] .

قال الله تعالى : ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ** ﴾ [النحل : ٩٦] ، وقال تعالى : ﴿ **اعْلَمُوا أنَّما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولهْوٌ وزينةٌ وتَفاخُرٌ بيْنَكُمْ وتَكَاثُرٌ في الأموالِ والأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أعْجَبَ الكُفَّارَ نباتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فتَرَاهُ مُصْفَرا ثُمَّ يَكُونُ حُطامًا وفي الآخرةِ عَذابٌ شديدٌ وَمَغْفِرةٌ مِنَ اللهِ ورِضْوانٌ وَمَا الحياةُ الدُّنيا إلّا مَتاعُ الغُرُورِ** ﴾ [الحديد : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ مَتاعُ الدُّنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمن اتَّقَىٰ** ... ﴾ [النساء : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الحياةَ الدُّنيا والآخرةُ خيرٌ وأبْقَى** ﴾ [الأعلى : ١٦ - ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ **ولَا تمُدَّنَّ عيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أزوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنيا لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ ورِزْقُ رَبِّكَ خيرٌ وأَبْقَىٰ** ﴾ [طه : ١٣١] .

« والقرآنُ مملوءٌ من التَزهِيد في الدنيا ، والإخبارِ بخِسَّتِها وقلَّتِهَا ، وانْقِطَاعِهَا وسُرْعَةِ فَنائها ، والترغيبِ في الآخرة ، والإخبارِ بشرَفِهَا ودَوامِها ، فإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا ، أقامَ في قلبه شاهدًا يُعاينُ به حقيقةَ الدنيا والآخرة ، ويُؤْثِر منهما ما هو أوْلىٰ بالإيثار .

قال الإمامُ أحمد بن حنبل : الزهدُ على ثلاثةِ أوْجُهٍ :

الأول : تَرْكُ الحرامِ : وهو زهدُ العوامِّ .

---

(١) الإحياء .

والثاني : تركُ الفضولِ مِنَ الحلال : وهو زهْدُ الخواصِّ .

والثالث : تركُ ما يَشْغَلُ عَنِ اللهِ : وهو زهد العارفين .

وهذا الكلامُ من الإمام أحمد من أجمع الكلام ، وهو يدلُّ على أنّه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحلِّ الأعلىٰ ، وقد شهِدَ الشَّافعيُّ رحمه الله بإمامتِه في ثمانيةِ أشياء ، أحدُها : الزهد . وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية - قدّس الله روحه - يقول : الزهدُ : تركُ ما لا ينفعُ في الآخرة ، والوَرَعُ تركُ ما تخاف ضرَرَه .

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في « الزهد والورع » ، وأجمعها .

والذي أجمع عليه العارفون : أنَّ الزهد سفَرُ القلب من وطنِ الدنيا ، وأخْذُه في منازِلِ الآخرة .

وقال ابن المبارك : هو الثِّقة بالله مع حبِّ الفقر . وهو قوْل شقيق ويوسف بن أسباط .

وقال أبو سليمان الداراني : هو ترْك ما يشغلُ عنِ الله .

وقال ذو النون : حقيقته هو الزهد في النفس »[1][2] .

« ومتعلَّقُ الزهدِ ستةُ أشياء ، لا يستحقُّ العبدُ اسمَ « الزهدِ » حتى يزْهَد فيها، وهي: المالُ، والصُّوَر، والرِّياسة، والناس، والنفس، وكلّ ما دون الله . وليس المرادُ رفضَها مِن الملك ، فقد كان سليمانُ وداودُ عليهما السلام من أزهدِ أهلِ زمانهما ، ولهما مِنَ المال والمُلْك والنِّساء ما لهما ، وكان نبيُّنا ﷺ مِن أزهد البشر على الإطلاق ، وكان له تِسْعُ نسوةٍ ، وكان عليُّ بن أبي طالبٍ وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزُّهَّاد ،

---

(١) مدارج السالكين ٢/٩ - ١٢ .

(٢) لي جمع تحت الطبع ، وهو : « رائِقُ الشَّهد منْ حديثِ الزهدِ » ، وفيه تكلَّمنا بالتفصيل عن الزهد وفضله .

معَ ما كان لهم مِنَ الأموال ، وكان الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه من الزهاد ، مع أنَّه كان من أكثر الأمَّة محبةً للنِّساء ونكاحًا لهُنَّ ، وأغناهم . وكان عبد الله بن المبارك مِنَ الأئمة الزُّهادِ ، مع مالٍ كثير . وكذلك اللَّيْثُ ابن سَعدٍ من أئمة الزهاد ، وكان له رأسُ مالٍ ، يقول : لولا هو لَتَمَنْدَل بنا هؤلاءِ .

ومن أحسن ما قيل في الزهد : كلام الحسن البصري ، أوْ غيره : ليس الزهد في الدنيا بتحريمِ الحلال ، ولا إضاعة المال ؛ ولكن أن تكونَ بما في يد الله أوثقَ منكَ بما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أُصِبْتَ بها - أرغبَ منك فيها لو لم تُصبْكَ . فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنِه »[(١)].

قال رسول الله ﷺ : « ازهدْ في الدنيا يُحبَّك الله ، وازهدْ فيما في أيدي الناس يُحبكَ الناسُ »[(٢)] .

وقال ﷺ : « طوبى لمن هُدي للإسلام ، وكان عيشُه كَفَافًا ، وقَنَعَ به »[(٣)].

وقال ﷺ : « قـد أفلحَ مَن أسْلَمَ ورُزِقَ كَفافًا ، وقنَّعهُ الله بما آتاه »[(٤)].

وقال ﷺ : « البَذَاذَةُ مِنَ الإيمان »[(٥)].

وقال ﷺ : « صلاحُ أوَّلِ هذه الأمَّةِ بالزهد واليقين ، ويَهْلَكُ آخرُها

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٢ - ١٣ .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه ، والطبراني في الكبير ، والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن سهل بن سعد ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٩٢٢ .

(٣) صحيح : رواه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، عن فضالة بن عبيد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٩٣١ .

(٤) صحيح : رواه الإمام أحمد في مسنده ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجه ، عن ابن عمرو .

(٥) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجه ، والحاكم ، عن أبي أُمامة الحارثي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٨٧٩ .

بالبخلِ والأمَلِ »[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ كانت الآخرة همَّهُ ، جعل الله غِنَاه في قلبه ، وجمع له شَمْلَه ، وأتتْه الدنيا وهي رَاغِمةٌ ، ومن كانت الدنيا همَّهُ ، جَعل اللهُ فقْرهُ بيْن عيْنَيْه ، وفرّق عليه شمْلَه ، ولم يأتِهِ مِنَ الدنيا إلّا ما قُدِّر له »[(٢)].

وقال ﷺ : « اللهمَّ أحْيني مِسْكِينًا ، وأَمِتْنِي مسكينًا ، واحشرني في زُمْرَةِ المساكين »[(٣)].

وقال ﷺ : « ربَّ ذي طِمْرَيْنِ لا يُـؤْبَهُ له ، لو أقْسَمَ على الله لَأَبَرَّهُ ».

وقال ﷺ : « ربَّ أشْعثَ مدفوعٍ بالأبوابِ ، لو أقسمَ على الله لَأَبَرَّهُ ».

وقال ﷺ : « يدخل فقراءُ المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصْفِ يوم ، وهو خمسمائة عامٍ »[(٤)].

وقال ﷺ : « مَنْ أصبَح منْكُمْ آمِنًا في سربه ، معافًى في جسده ، عنده قوتُ يومِهِ ، فكأنَّما حِيزَتْ له الدنيا بحَذَافِيرها »[(٥)].

وعالي الهمَّة ينظر إلى كلام الأئمة ، ولا يرضَى بالدُّونِ من درجاتِ الزهد :

قال الهروي عن الزهد : « وهو على ثلاثِ درجاتٍ :

---

(١) حسن : رواه الإمام أحمد في الزُّهْد ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن ابن عمرو ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٨٤٥ .

(٢) صحيح : رواه الترمذي عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٥١٠.

(٣) صحيح : رواه عبد بن حميد ، وابن ماجه ، عن أبي سعيد ، ورواه الطبراني في الكبير ، والضياء ، عن عبادة بن الصامت ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٦١ .

(٤) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والترمذي ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨٠٧٦ .

(٥) حسن : رواه البخاري في الأدب المفرد ، والترمذي ، وابن ماجه ، عن عبد الله بن محصن ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٠٤٢ .

الدرجة الأولى : الزهد في الشُّبهة ، بعد تَرْك الحرام ، بالحذَر من المَعْتَبَة ، والأَنَفَةِ من المَنْقَصَة ، وكراهة مشاركة الفُسَّاق » .

قال ابن القيم : « أمَّا الزهد في الشُّبهة : فهو تَرْكُ ما يَشْتبهُ على العبد : هل هو حلالٌ أمْ حرامٌ ؟ فالشُّبُهات برزخٌ بين الحلال والحرام . ولا يكون تركُ الشبهة إلّا بعد ترك الحرام ، وتركُهُ للشبهة حذرًا مِن توجُّه عَتْبِ الله عليه ، وأنفه لنفسه من نقْصِه عند ربه ، وسقوطه من عينه ، لا أَنَفَتِهِ من نقصه عند الناس ، وسقوطه من أعينهم .

« وكراهة مشاركة الفسّاق » : يعني أن الفسَّاق يزدحمون على مواضع الرغبة في الدنيا ، ولتلك المواقف بهم كظيظٌ مِنَ الزِّحام ، فالزاهد يأنُفُ من مشاركتهم في تلك المواقف ، ويرفع نفسَه عنها ، لخِسَّةِ شركائه فيها ، كما قيل لبعضهم : ما الذي زهّدك في الدنيا ؟ قال : قِلَّةُ وفائها ، وكثرةُ جَفَائها ، وخِسَّةُ شركائها .

إذا لـمْ أتـركِ المـاءَ اتِّقَـاءً تركـتُ لكثرةِ الشُّرَكَاءِ فيهِ
إذا وقـعَ الذبابُ على طَعَـامٍ رفعـتُ يدي ونفسـي تشتهيهِ
وتجتَنبُ الأسـودُ وُرُودَ ماءٍ إذَا كانَ الكلابُ يَلَغْنَ فيهِ »[1]

الدرجة الثانية : « الزهد في الفضول : وهو ما زاد على المُسْكة والبلاغِ مِن القوت ، باغتنامِ التفرُّغ إلى عِمَارة الوقت ، وحسْمِ الجأْشِ ، والتحلِّي بحِلْيَة الأنبياء والصِّدِّيقين » .

قال ابن القيم: «(الفضول): ما يفضل عن قدْر الحاجة . و (المُسْكة): ما يُمسك الإنسان من القوت والشراب واللِّباس والمسكن والمَنْكَح ، إذا احتاج إليه . و (البلاغ) : هو البُلْغَةُ من ذلك الذي يَتَبَلَّغُ به المسافر في منازل السفر ، فيزهد فيما وراءَ ذلك ، اغتنامًا لتفرغه لعمارة وقته » .

(١) المدارج ١٥/٢ - ١٧ .

قال ﷺ : « إنَّ أمامكم عَقَبةً كَئودًا ، لا يجوزُها المُثْقَلُونَ »[١].
وقال ﷺ : «إنما يكفي أحدَكُم ما كان في الدنيا مثل زادِ الراكب»[٢].
وقال ﷺ : « كُنْ في الدنيا كأنَّك غريبٌ أوْ عابرُ سبيلٍ »[٣].

قال ابن القيم : « الزهدُ لأهلِ هذه الدرجة أعلى وأرفع ، وهو اغتنام الفراغ لعمارة أوقاتهم مع الله ؛ لأنه إذا اشتغل بفضول الدنيا ، فاتَهُ نصيبُه من انتهاز فرصة الوقت ، فالوقت سيفٌ إن لم تقطعْهُ وإلّا قطعك .

وأما حسْمُ الجأش : فهو قطْع اضطرابِ القلب ، المتعلّق بأسباب الدنيا ، رغبةً ورهبةً وحُبًّا وبغضًا وسعيًا ، فلا يصحُّ الزهد للعبد حتى يقطعَ هذا الاضطراب من قلبه ، بأنْ لا يلتفت إليها ، ولا يتعلَّقَ بها في حالتي مُباشَرَتِهِ لها وتَرْكِه ، فإنَّ الزهد زهدُ القلب ، لا زهد الترْك من اليد ، فهو تخلِّي القلب عنها ، لا خلوّ اليد منها .

وأمَّا التحلِّي بحلية الأنبياء والصدِّيقين : فإنهم أهل الزهد في الدنيا حقًّا ؛ إذْ هُمْ مُشمِّرون إلى عَلَم قد رُفع لهم غيرها ، فهم زاهدون ، وإنْ كانوا لها مباشرين » .

والدرجة الثالثة : « الزهد في الزهد : وهو بثلاثة أشياء : استحقار ما زهدتَ فيه، واستواءُ الحالاتِ فيه عندك، والذهاب عن شهودِ الاكتساب ، ناظرًا إلى وادي الحقائق » .

قال ابن القيم : « وقد فسَّر الشيخ مراده بالزهد في الزهد بثلاثة أشياء : أحدها : احتقاره ما زهد فيه: فإنَّ مَنِ امتلأ قلبُه بمحبةِ الله وتعظيمه ، لا يرى أنَّ ما تركه لأجْلِهِ من الدنيا يستحقُّ أن يُجْعَلَ قربانًا ؛ لأنَّ الدنيا

---

(١) صحيح : رواه الحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي الدَّرداء ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٠٠١ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الكبير ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن خبّاب ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٣٨٤ .

(٣) صحيح : رواه البخاري عن ابن عمر .

لا تساوي عند الله جَناحَ بعوضةٍ . فالعارف لا يَرى زهده فيها كبير أمرٍ يُعْتَدُّ بهِ ويُحتَفَلُ له ، فيستحي مَنْ صَحّ له الزهدُ أن يجعل لما تركَهُ للهِ قدْرًا يلاحِظ زهْدَه فيه ، بلْ يفنى عن زهْدِه فيهِ كما فَنِيَ عنه ، ويستحي مِن ذكْره بلسانه ، وشهوده بقلبه .

وأمَّا استواءُ الحالاتِ فيه عنده : فهو أنْ يرى تَرْكَ ما زهِد فيه وأَخْذَهُ : متساويَيْن عنده ، إذْ ليس له عنده قدْرٌ ، وهذا مِن دقائق فقْهِ الزهد ، فيكون زاهدًا في حال أخْذِه ، كما هو زاهدٌ في حالِ تَرْكه ، إذْ همتُه أعلى عن ملاحظته أخْذًا وتَرْكًا ، لصِغَرِه في عيْنه .

وأمّا الذهابُ عن شهود الاكتساب : فمعناه : أنَّ مَنِ استصغر الدنيا بقلبه ، واستوتْ الحالاتُ في أخذها ، وتركها عنده ، لم يَرَ أنه اكتسبَ بتَرْكها عند الله درجةً ألبتة ؛ لأنها أصغر مِنْ أن يَرَىٰ أنه اكتسب بتَرْكها الدرجات .

وفيه معنى آخر : وهو أنْ يشاهد تفرُّدَ الله عز وجل بالعطاء والمنْع ، فلا يرى أنه تَرَكَ شيئًا ، ولا أَخَذَ شيئًا ، بل الله وحدَه هو المُعْطِي المانع ، فما أخذه فهو مَجْرًى لعطاءِ الله إيَّاه كمجرى الماء في النهر ، وما تركه لله ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي مَنَعَهُ منه ، فيذهب بمشاهدة الفَعَّال وحده عن شهود كَسْبه وتَرْكه ، فإذا نظر إلى الأشياء بعيْن الجمع ، وسلك في وادي الحقيقة ، غاب عن شهود اكْتِسَابه ، وهو معنى قولِهِ : « ناظرًا إلى وادي الحقائق » ، وهذا أَلْيَقُ المعنَيَيْنِ بكلامه ، فهذا زهْدُ الخاصَّة . قال الشاعر :

إذا زَهَّدَتْني في الهَوَىٰ خَشْيَةَ الرَّدَىٰ   جَلَتْ لي عن وجهٍ يُزَهِّد في الزُّهدِ »[1]

---

(١) مدارج السالكين ١٩/٢ - ٢٠ .

لله درُّ الغـزالي :

يقول الغزالي رحمه الله : « اعلمْ أن الزهد في نفسه يتفاوت بحَسَبِ تفاوُت قوَّتِه ، على درجاتٍ ثلاثٍ :

الدرجة الأولى ، وهي السفلى منها : أن يزهد في الدنيا وهـو لها مُشْتَهٍ ، وقلبُه إليها مائِلٌ ، ونفسُه إليها مُلْتَفِتَةٌ ، ولكنه يجاهدُهَا ويكُفُّها ، وهذا يسمَّىٰ المُتَزَهِّد ، وهو مبدأ الزهد ، والمتزهِّد على خطرٍ ؛ فإنه رُبَّما تغلبُه نفسه وتجذبُه شهوتُه ، فيعود إلى الدنيا .

الدرجة الثانية : الذي يترك الدنيا طوْعًا لاستحقارِه إيَّاها ، بالإضافة إلى ما طمع فيه ، كالذي يترك درهمًا لأجْل درهمَيْن ؛ فإنه لا يشقُّ عليه ذلك . لكن هذا الزاهدَ يرى لا محالةَ زُهْدَه ويلتفتُ إليه ، فيكادُ يكون معجبًا بنفسه وبزهده ، ويظنُّ في نفسه أنه ترك شيئًا له قدْرٌ لِمَا هو أعظمُ قدرًا منه ، وهذا أيضًا نقصَانٌ .

والدرجة الثالثة ، وهي العليا : أن يزهَدَ طوْعًا ، ويزهد في زهْدِه فلا يرى زهدَه ، إذْ لا يرى أنه ترك شيئًا ، إذْ عرَف أنَّ الدنيا لا شيءَ ، فيكون كمن ترك خزفةً وأخذ جوهرةً ، فلا يرى ذلك مُعَاوَضَةً ، ولا يرى نفسَه تاركًا شيئًا ، والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة ؛ أخسُّ من خَزَفَةٍ بالإضافة إلى جوهرةٍ ، فهذا هو الكمال في الزهد .

وأمّا انقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه ، فهو على ثلاثِ درجاتٍ :

الدرجة السُّفْلى : أن يكون المرغوبُ فيه هو النجاة من النار ، ومن سائر الآلام ، كعذاب القبر ، ومناقشة الحساب ، وخَطَر الصراط ، فهذا زهدُ الخائفين ، وكأنهم رضُوا بالعَدَمِ ؛ فإنَّ الخَلَاصَ من الألم يحصل بمجرَّدِ العَدَمِ .

والدرجة الثانية : أنْ يزْهَدَ رغبةً في ثواب اللهِ ونعيمه ، واللذات الموعودة في جنته ، من الحور والقصور ، وهذا زهْدُ الرَّاجينَ ؛ فإنّ هؤلاءِ ما تركوا الدنيا قناعَةً بالعَدَمِ والخلاص مِنَ الألم ، بل طمِعُوا في وجودٍ دائمٍ ونعيمٍ سرمدٍ لا آخِرَ له .

الدرجة الثالثة ، وهي العليا : أنْ لا يكون لهُ رغبةٌ إلا في الله وفي لقائه ، فهو مُستَغرِقُ الهمِّ بالله تعالى ، وهذا زهْدُ المُحِبِّين »[1] .

سيِّدُ الزاهِدِين رسولُ اللهِ ﷺ :

عَرَض الله سبحانه الدنيا ، وعرَض مفاتيحَ كُنوزها على أحبِّ الخلق إليه وأكرمِهم عليه ، عبدِه ورسوله محمدٍ ﷺ فلم يُردْهَا ولم يَخْتَرْهَا ، ولو آثرها وأرادها ، لكانَ أشكرَ الخلق بما أخذه منها ، بل اختارَ التقلُّلَ منها وصبر على شِدَّة العيش بها .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار ، فرأَتْ فِرَاشَ رسول الله ﷺ عَباءَة مثنيَّةً ، فرجعتْ إلى منزلها ، فبعثتْ إليّ بفراشٍ حَشْوُهُ الصوفُ ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا ؟ » فقلتُ : فلانةٌ الأنصارية دخلتْ عليّ ، فرأتْ فراشَك ، فبعثتْ إليّ بهذا . فقال : « رُدِّيهِ » فلم أردّه ، وأعجبني أنْ يكونَ في بيتي ، حتى قال ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ ، فقال : « يا عائشة ، رُدِّيه ، واللهِ لو شئْت ، لأَجْرَىٰ اللهُ معي جبالَ الذهبِ والفضةِ »[2] .

وعرَض عليه مفاتيحَ كُنوزِ الدنيا فلم يأخذْها ، وقال : « بل أجوعُ يومًا ، وأشبَعُ يومًا » .

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٢٣٩ - ٢٤١ .

(٢) صحيح : رواه الإمام أحمد .

وسأل ربّه أنْ يجعل رِزْقَ أهلِه قوتًا ، كما في الصحيحينِ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعلْ رزقَ آلِ محمَّدٍ قوتًا » .

وفيهما عنه ، قال : « والذي نفسُ أبي هريرة بيده ، ما شَبِعَ نبي الله وأهلُه ثلاثة أيَّام تِبَاعًا من خُبْزِ حِنْطَةٍ ، حتى فارق الدنيا » .

وفي صحيح البخاري ، عن أنسٍ رضي الله عنه : ما أعلم أنَّ رسول الله ﷺ رأى رغيفًا مُرقّعًا ، ولا شاةً سميطًا قطُّ ، حتى لحِقَ بربِّه .

وفي صحيحه أيضًا عنه ، قال : خرج رسول الله ﷺ ، ولم يشبع من خبْز الشعير .

وفي الصحيحين ، عن عائشة رضي الله عنها : « ما شبع آلُ محمدٍ منذُ قدِمَ المدينة من طعامِ البُرِّ ثلاثَ ليالٍ تباعًا ، حتى قُبض » .

وفي صحيح مسلمٍ ، عن عمر رضي الله عنه : « لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يظلّ اليومَ ما يجد دَقَلًا[1] يملأُ بطنَه » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ يبيتُ الليالَي المتتابعاتِ طاوِيًا ، وأهلُه لا يجدون عَشاء[2] .

وفي المسندِ ، عن عائشة رضي الله عنها : والذي بعث محمدًا بالحق ، ما رأى منْخَلًا ، ولا أكل خبزًا منخولًا ، منذ بعثه الله عز وجلّ إلى أن قُبِض . قال عروة : فقلت : فكيف كنتم تأكُلُون الشعير ؟ قالت : كُنَّا نقول : أُفْ - أيْ : تنفُخُه - فيطيرُ ما طار ، ونعجنُ الباقي .

وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قال : لقد رهَنَ رسول الله ﷺ دِرْعَه بشعيرٍ ، ولقد سمعتُه يقول : « ما أصبح لآلِ محمدٍ صاعٌ ولا أمْسَى ، وإنهم

---

(١) الدَّقل : هو رديء التمر .

(٢) صحيح : رواه أحمد والترمذي .

لَتِسْعَةُ أبياتٍ »[١] .

« وعن جابر رضي الله عنه قال : لمّا حفر رسول الله ﷺ الخندقَ ، أصابهم جُهْدٌ شديدٌ ، حتى ربَطَ النبيُّ ﷺ على بطنه حجرًا من الجوع »[٢] .

ولقد توفَّاه اللهُ ، وإنَّ دِرْعَه مَرهونَةٌ عند يهوديّ على طعامٍ أخذه لأهله ، وقد فتح الله عليه بلادَ العرب ، وجُبيتِ الأموال ، ومات ولم يترك درهمًا واحدًا ، ولا دينارًا ، ولا شاةً ، ولا بعيرًا ، ولا عبدًا ، ولا أمَةً .

« وعن عروة أنه سمِعَ عائشة تقول : كان يمرُّ بنا هلالٌ وهلالٌ ما يوقد في بيتٍ من بُيوتِ رسول الله ﷺ نارٌ . قلت : يا خالة ، فعلى أيِّ شيءٍ كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسودَيْن : التمر والماء » . رواه أحمد .

« ومن حديث مسروقٍ ، قال : دخلتُ على عائشة ، فَدَعتْ لي بطعام ، وقالت : ما أشْبَعُ من طعام ، فأشاء أن أبكي إلا بكيتُ . قال : قلت : لِمَ ؟ قالت : أذكر الحال التي فارق عليها رسولُ الله ﷺ الدنيا ، واللهِ ما أُشبعَ في يومٍ مَرَّتين من خبزِ البُرِّ ، حتى قُبِض »[٣] .

وفي المسنَد ، عنها : ما أُشبعَ رسول الله ﷺ من خبزِ شعيرٍ يوْمَيْن متتابعين ، حتى قُبِض[٤] .

« وفي الصحيحين ، عن أبي هريرة : ما شبِعَ رسول الله ﷺ وأهله ثلاثًا أتباعًا مِن خُبْز البُرِّ ، حتى فارق الدنيا » .

وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال : شكوْنَا إلى رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري .

(٢) صحيح ، رواه أحمد في مسنده .

(٣) صحيح ، رواه أحمد .

(٤) صحيح ، أخرجه أحمد ، وصححه ابن القيم في « عُدَّة الصابرين » ص١٩٤ .

الجُوعَ ، ورفعنا عن بطوننا حَجَرًا حَجَرًا ، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حَجَرَيْن .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو مُتَّكِيءٌ على رمْل حَصِيرٍ ، فرأيتُ أثَرَهُ في جنْبِه[1] .

وَرَاوَدَتْهُ الجبالُ الشُّمُّ مِن ذَهَبٍ عَنْ نفسِهِ فأَرَاهَا أَيَّما شَمَمِ

مُوسَىٰ عليه السلام :

قال الحسن البصريُّ : « وأمَّا موسى عليه السلام ، فرُئي خضرة البَقْل مِنْ صِفَاقِ بطنه من هُزاله ، ما سأل الله تعالى يومَ أوَىٰ إلى الظِّلِّ إلّا طعامًا يأكله ، من جوعه ، ولقد جاءتِ الروايات عنه أن الله تعالى أوحى إليه ؛ أن يا موسى ، إذا رأيتَ الفقر مقبلًا ، فقُلْ : مرحبًا بشعار الصالحين ، وإذا رأيتَ الغِنَىٰ قد أقبل ، فقلْ : ذَنْبٌ عجِّلَتْ عُقُوبَتُه »[2] .

« وفي حديث مناجاةِ موسىٰ الذي رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد : ولا تُعجبْكُمَا زينتُه ولا ما مُتِّعَ به ، ولا تمدَّانِ إلى ذلك أعينَكما ؛ فإنها زهرةُ الحياةِ الدنيا ، وزينةُ المترفين ، وإني لو شِئْتُ أنْ أُزيِّنَكُما مِنَ الدنيا بزينة - يعلم فرعون حين ينظر إليها أنَّ مَقْدِرَتَه تعجز عن مِثْل ما أُوتيتما - فعلت ، ولكني أرغب بكما عن نعيمها ذلك ، وأزوِيه عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ، وقديمًا ما خِرْتُ لهم في ذلك ؛ فإني لَأَذُودهم عن نعيمها ورخائها ، كما يَذُود الراعي الشفيقُ غَنَمَه عن مراعي الهلَكَةِ ، وإني لأُجَنِّبُهم سَلْوَتَها وعيشَهَا كما يجْنُبُ الراعي الشفيقُ إبلَه عن مَبَارِك الغِرَّة ، وما ذلك لهَوَانِهم عليّ ، ولكن ليستكملوا نصيبَهم مِن كرامتي سَالِمًا مُوفَّرًا ، لم تَكْلَمْه الدنيا ولم يُطغِهِ الهَوَىٰ . واعلمْ أنه لَمْ يتزيَّنْ لي العبادُ بزينةٍ هي أبلغ

---

(١) صحيح ، أخرجه الترمذي في صفة القيامة ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .

(٢) الحلية ١٣٧/٢ .

من الزهد في الدنيا ، فإنها زينةُ المتقين ، عليهم منها لباسٌ يُعرفون به من السَّكِينة والخشوع ، سِيماهُم في وجوههم مِن أثرِ السجود ، أولئك أوليائي حقًّا ، فإذا لقيتَهم فاخفضْ لهم جناحك وذلِّلْ لهم قلبَك ولسانَك »[١] .

عِيسىٰ بنُ مريمَ عليه السَّلام :

عن ثابت البناني قال : قِيل لعيسىٰ بن مريم : يا رسولَ الله ، لو اتخذتَ حِمَارًا تركبُه لحاجتك ؟ قال : أنا أكْرَمُ على الله مِن أن يجعل لي شيئًا يَشغلُني به .

وقال : اجعلوا كنوزكَم في السماء ؛ فإنَّ قلب المرءِ عند كَنْزِه .

وقال : اتَّقُوا فضولَ الدنيا ، فإنَّ فضولَ الدنيا عند الله رِجْزٌ .

وقال : يا بني إسرائيلَ ، اجعلوا بيوتكم كمنازل الأضياف ، فما لكم في العالم مِن مَنْزِلٍ ، إنْ أنتم إلّا عابري سبيل .

وقال : يا معشرَ الحواريِّين ، أيّكم يستطيع أن يبني على موجِ البحر دارًا ؟ قالوا : يا روُحَ الله ، مَن يقدر على ذلك ؟! قال : إيَّاكم والدنيا ، فلا تتخذوها قرارًا .

وقال : أَكْلُ الخبز البُرِّ ، وشرْبُ ماءٍ عذبٍ ، ونومٌ على المَزابلِ مع الكلاب ، كثيرٌ لِمَن يريد أن يرث الفِرْدَوْس .

وقال : يا بني إسرائيل ، تهاونُوا بالدنيا تَهُنْ عليكم ، وأَهينوا الدنيا تَكْرُم عليكم الآخرةُ ، ولا تُكْرِمُوا الدنيا تَهُن عليكم الآخرة ؛ فإن الدنيا ليستْ بأهلِ الكرامة وكلّ يومٍ تدعُو إلى الفتنة والخسارة .

« وعن وهبٍ ، قال : قال الحواريُّون : يا عيسىٰ ، مَن أولياءُ الله الذين لا خوْفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُون ؟ قال : الذين نظروا إلى باطِنِ الدنيا حين

---

(١) عُدَّة الصابرين ص٢١٣ .

نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما يخشَوْن أن يُميتَهم ، وتركوا ما علموا أنْ سيتركهم ، فصار استكثارُهم منها استقلالًا ، وذكْرهم إيَّاها فواتًا ، وفرحُهم بما أصابوا منها حزنًا ، فما عرضهم مِن نائلها رفضُوه ، وما عارضهم مِن رفعتها بغير الحقِّ وضعوه ، خَلِقَت الدنيا عندهم فليسوا يُجدِّدونها ، وخربت بينهم فليسوا يعمِّرُونها ، وماتتْ في صدورهم فليسوا يحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتَهم ، ويَبيعونها فيشترون بها ما بقي لهم ، رفضوها فكانوا بها هُمُ الفَرِحين ، ونظروا إلى أهلها صرعىٰ قد حَلَّتْ بهم المَثُلات ، فأَحيَوْا ذِكْرَ الموت ، وأماتُوا ذكْر الحياة ، يُحبُّون اللهَ ويُحبُّون ذكرَه ، ويستضِيئون بنوره ويُضيئون به ، لهم خبرٌ عجيبٌ ، وعندهم الخبرُ العجيبُ ، بهم قام الكتابُ وبه قامُوا ، وبهم نطَق الكتابُ وبه نطقُوا ، وبهم عُلِّم الكتابُ وبه عَمِلُوا ، ليسوا يَرون نائلًا مع ما نالوا ، ولا أمانًا دون ما يرجون ، ولا خوفًا دون ما يحذرون »[1].

« وقال في كتابه لعمر بن عبد العزيز - بعد حديثه عن رسول الله وموسى عليهما الصلاة والسلام -: « وإنْ شئْتَ ثلَّثْتُه بصاحبِ الرُّوح والكلمة ؛ ففي أمره عجيبةٌ: كان يقول: أُدَمِي: الجوعُ، وشِعاري: الخوْف، ولباسي: الصوفُ، ودابَّتي: رِجْلي، وسِراجي بالليل: القمرُ، وصلايتي في الشتاء: الشمس، وفاكهتي ورَيْحاني: ما أنبتتِ الأرضُ للسِّباع والأنعام، أَبيتُ وليس لي شيءٌ ، وليس أحدٌ أغنىٰ منِّي »[2].

يحيىٰ بنُ زَكريَّا عليهما السلام :

قال مجاهدٌ : كان طعامُ يحيىٰ بن زكريَّا عليهما السلام العُشْبَ ، وإنْ كان لَيبكي مِن خشيةِ اللهِ ، ما لو كان القارُّ على عَيْنيْه لَخرقتْه دموعه ، ولقد

---

(١) « عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين » لابن قيم الجوزية ص٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) الحلية ٢/١٣٧ .

كانت الدموعُ اتخذتْ مَجْرًى في وجهِهِ[١].

سُلَيْمان بنُ داودَ عليهما السلام :

قال الحسن في كتابه لعمر بن عبد العزيز : « ولو شئْتُ ربّعتُ بسليمان بن داود عليهما السلام ، فليس دُونهم في العجب ؛ يأكل خُبْزَ الشعير في خاصَّته ، ويُطْعِم أهلَه الخشكار[٢] والناسَ الدّرمك ، فإذا جنَّه الليلُ لبِسَ المَسُوحَ ، وغَلَّ اليدَ إلى العنق ، وبات باكيًا حتى يُصبح ، يأكل الخَشِنَ مِن الطعام » .

ومن قبله كان داودُ صاحبُ المزامير ، وقارئُ أهل الجنة ، « يعمل سفائفَ الخُوص بيده ، ويقول لجُلَسائه : أيُّكم يكفيني بَيْعَها ؟ ويأكل قُرْص الشعيرِ مِن ثَمَنِها » .

عُثمانُ بنُ مَظعُون رضي الله عنه ، المتقشِّفُ المحْزُون :

كان إلى الاستجابة للهِ سابقًا ، وبمعالي الأحوالِ لاحقًا ، وفي العبادة ناسِكًا ، لم تنقِصْه الدنيا ، ولم تَحطّهُ عن العَلْيَا . ويكفي في عُلوِّ زهدِه شهادةُ رسول الله ﷺ له بذلك : فعن أبي النضر ، قال : لما مُرَّ بجنازةِ عثمانَ بن مظعون ، قال رسول الله ﷺ : « ذَهَبْتَ ولم تَلَبَّسْ منها بشيءٍ »[٣].

نعم ، ما تلبَّسَ منها بشيءٍ ! ربما لبِس النَّمِرة قد تخلَّلتْ ، فرقَّعَها بقطعةٍ من فروة .. فرضي الله عنك أبا السائب صاحبَ الهِجْرتَيْن .

« عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قبّل عثمانَ بنَ مظعون وهو مَيِّتٌ ،

---

(١) الزهد والرقائق ص١٩٤ .

(٢) الخشكار : رديءُ الدقيق ، والدرمك : الدقيق الحواري .

(٣) أخرجه مالك في الجنائز مرسلًا ، وقال الزرقاني : وصلَه ابنُ عبد البرِّ من طريق يحيى بن سعيدٍ ، عن القاسم ، عن عائشة .

ودموعُهُ تسيلُ على خَدِّ عثمانَ بن مظعون »[١].

العابِدُ الزَّهيدُ ، والقانِتُ الوحيدُ ،أبو ذَرٍّ الغِفَاري :

قال الذهبي عنه : « أحدُ السابقين الأوَّلين ، من نُجَبَاءِ أصحاب محمد ﷺ ... وكان رأسًا في الزهد والصدق ، والعلم والعمل » .

قال أبو ذرٍّ الغفاري : « ما تُؤْيسُنِي رِقّةُ عَظْمي ، ولا بياضُ شَعْري ، أنْ ألقَى عيسى بن مريم »[٢].

وعن ابن سيرين : سألتُ ابنَ أُخْتٍ لأبي ذرٍّ : ما ترك أبو ذرٍّ ؟ قال : ترك أَتانَيْن ، وحمارًا ، وأعنزًا ، وركائب .

قد كان رضي الله عنه من أهلِ الصُّفّة ، وكان في بداية أمْره ينامُ في المسجد ، لم يكنْ له بيتٌ .

وأرسل إليه عثمانُ ، وقال له : إنما أرسلْنا إليك لِتُجَاوِرَنا في المدينة . قال : لا حاجة لي في ذلك ، ائْذَنْ لي إلى « الرَّبذة » . قال : نعم ، ونأمر لك بنعم من نَعَم الصدقة ، تغدو عليك وتروح . قال : لا حاجة لي في ذلك ، يكفي أبا ذرٍّ صُرَيمَتُه[٣]. فلما خرج قال : دونكم معاشر قريش ، دنياكم فاعْذِمُوها[٤]، ودعُونا وربَّنَا .

وقال رضي الله عنه : « لَيَوَدَّنَّ صاحبُ هذا المال لو كان عقاربُ في الدنيا تلسعُ السويداءَ مِن قلبه »[٥].

---

(١) حسن بشاهده عند البزار ، أخرجه الترمذي وصححه ، وأبو داود ، وصححه الحاكم ، وسكت عنه الذهبي .

(٢) طبقات ابن سعد ٤/٢٣٠ .

(٣) الصُّرَيمة : تصغير الصرمة : وهي القطيع من الإبل والغنم .

(٤) أي : خذوها ، والعذم : العضُّ والأكل بجفاء .

(٥) إسناده صحيح ، سير أعلام النبلاء ٢/٦٧ - ٦٨ ، وطبقات ابن سعد ٤/٣٣٢.

رضي الله عنه ؛ لقد تعلّق بالأمر الشديد .

« وعن أبي أسماء أنه دخل على أبي ذرٍّ بالربذة ، وعنده امرأة له سوداء مُشعثة ، ليس عليها أثر المجاسد والخَلوق ، فقال : ألا تنظرون ما تأمرني به ؟ تأمرني أن آتي العراق ، فإذا أتيتُها ، مالوا عليّ بدنياهم ، وإنَّ خليلي عهِدَ إليّ : « إنّ دون جسْر جهنم طريقًا ذا دحْضٍ ومزلة » . وإنا أنَّى نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار ، أحرىٰ أنْ ننجو مِن أنْ نأتي عليه ونحن مواقير »[(١)] .

« وقال ثابت البناني : بنى أبو الدرداء مسكنًا ، فمر عليه أبو ذرٍّ ، فقال : ما هذا ! تعمر دارًا أذن اللهُ بخرابها ؟! لأَن تكون رأيتُك تتمرّغ في عَذِرة ، أحبّ إليّ من أن أكون رأيتُك فيما رأيتُك فيه »[(٢)] .

وعن أمِّ طلقٍ ، قالت : « دخلتُ على أبي ذرٍّ فرأيته شعثًا شاحبًا ، بيده صوف ، قد جُعل عُودَيْن ، وهو يغزل بهما ، فلم أرَ في بيته شيئًا ، فناولتُه شيئًا مِن دقيق وسُوَيْق ، فقال لي : أمَّا ثوابك ، فعلى الله »[(٣)] .

وعندما مات بالربذة لم يكن عنده ثوبٌ يسعُه كفَنًا ، وكفّنه صحابة مَرُّوا به ، كفّنه فتى مِن الأنصار في عيبته مِن غزل أمِّه[(٤)] .

مُصْعَب بنُ عُمَير رضي الله عنه :

عن خباب رضي الله عنه قال : « هاجرْنا مع رسول الله ﷺ ، ونحن نبتغي وجه الله ، فوقع أجرُنا على الله ، فمنا مَن مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئًا ؛ منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أُحد ، ولم يترك إلا نَمِرة ، كُنَّا إذا غطَّينا رأسه بدتْ رجلاه ، وإذا غطينا رجلَيْه بدا رأسه ، فقال رسول الله

(١) أخرجه أحمد وابن سعد ورجاله ثقات .

(٢) ، (٣) السير ٢/٧٤ .

(٤) العيبة : ما تُجعل فيه الثياب ، السير ٢/٧٧ .

ﷺ : « غَطّوا رأسه ، واجعلوا على رجليه من الإذْخَر » . ومّنا مَن أيْنعتْ له ثمرتُه ، فهو يُهَدِّبُها »[١] .

« وعن سعد بن إبراهيم ، سمع أباه يقول : أُتي عبد الرحمن بن عوف بطعامٍ ، جعل يبكي ، فقال : قتل حمزة ، فلم يُوجد ما يُكَفّن فيه إلّا ثوبًا واحدًا ، وقُتل مصعب بن عمير ، فلم يوجد ما يكفّن فيه إلا ثوبًا واحدًا ، لقد خشيتُ أن يكون عُجّلتْ لنا طيباتُنا في حياتنا الدنيا.وجعل يبكي »[٢] .

سَلْمانُ الفارسي :

عن مالك أنَّ سلمان كان يستظل بالفيءِ حيثما دار ، ولم يكن له بيت ، فقيل : ألا نبني لك بيتًا تسكن به ؟ قال : نعم . فلمّا أدْبر القائلُ سأله سلمان : كيف تبنيه ؟ قال : إنْ قمتَ فيه أصابَ رأسك ، وإنْ نِمتَ أصابَ رجلك[٣] .

« قال النعمان بن حُميد : دخلتُ مع خالي على سلمان بالمدائن — وهو أميرٌ عليها — فسمعته يقول : أشتري خُوصًا بدرهم ، فأبيعه بثلاثة دراهم ، فأُعيد درهمًا فيه ، وأنفق درهمًا على عيالي ، وأتصدَّق بدرهم ، ولو أن عمر نهاني عنه ما انتهيت »[٤] .

وقال الحسن : كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، وكان على ثلاثين ألفًا من الناس ، يخطب في عباءَة ، يفرش نصفَها ، ويلبَس نصفها ، وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه ، ويأكل مِن سفيف يده ، رضي الله عنه[٥] .

---

(١) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي .
(٢) رواه البخاري .
(٣) أخرجه عبد الرزاق ؛ وابن سعد ، وأبو نعيم .
(٤) ابن سعد وأبو نعيم في الحلية ، والإصابة ٢٢٥/٤ ، وأسد الغابة ٤٢٠/٢ والاستيعاب .
(٥) الحلية ١٩٨/١ .

وإنْ تعجبْ لأميرِ المدائن سلمان فاعجبْ :

« قال جرير بن حازم : سمعت شيخًا من بني عبْس يذكر عن أبيه قال : أتيتُ السوق ، فاشتريت عَلفًا بدرهم ، فرأيتُ سلمان – ولا أعرفه – فسخّرتُه ، فحملتُ عليه العلف ، فمرّ بقوم فقالوا : نحمل عنك يا أبا عبد الله ؟ فقلت : مَنْ ذا ؟ قالوا : هذا سلمان صاحب رسول الله ﷺ . فقلت له : لم أعرفك ، ضعْه . فأبىٰ حتى أتى المنزل »[(١)].

« وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت ، فبكى فقيل له : ما يُبكيك ؟ قال : عهدٌ عهِدَه إلينا رسول الله ﷺ لم نحفظه : قال : « لِيكنْ بلاغُ أحدِكم من الدنيا كزاد الراكب » . وأمّا أنت يا سعدُ ، فاتّقِ اللهَ في حكمك إذا حكمت ، وفي قَسْمك إذا قسَمتَ ، وعند همّك إذا هممت . قال ثابت : فبلغني أنه ما ترك إلّا بضعةً وعشرين درهمًا ، نُفَيْقةً كانت عنده »[(٢)].

عثمانُ بنُ عفّان ، رضي الله عنه :

« قال الحسن البصري : رأيتُ عثمان نائمًا في المسجد ، حتى جاءَه المؤذِّن فقام ، فرأيتُ أثر الحَصَىٰ على جنبه »[(٣)] .

وكان رضي الله عنه – وهو خليفة – يحمِل حِزْمة الحطب على عاتِقه .

أهل الصُّفّة :

عن فضالة بن عُبيد أن رسول الله ﷺ كان إذا صلَّى بالناس ، يخرّ رجالٌ مِن قامتهم في الصلاة من الخصاصة ، وهمْ أصحابُ الصُّفة ، حتى تقول الأعراب : هؤلاء مجانينُ أو مجانون ، فإذا صَلّى – صلى الله عليه وسلم –

(١) ابن سعد ٤/١/٦٣ .
(٢) صحيح ؛ أخرجه ابن ماجه ، وأبو نعيم في الحلية والطبراني .
(٣) السير ٤/٥٦٨ .

انصرفَ إليهم ، فقال : « لو تعلمونَ ما لكم عند الله ، لأحببتُم أن تزدادوا فاقة وحاجة » . قال فضالة : أنا يومئذٍ مع رسول الله ﷺ[١] .

أبو هريرة ، رضي الله عنه :

قال أبو هريرة : « لقد رأيتُني وإني لأخِرّ فيما بين منبرِ رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مَغْشيًّا عليّ ، فيجيءُ الجائي فيضعُ رجله على عنقي ، ويرى أنّي مجنون ، وما بي مِن جُنونٍ ، ما بي إلّا الجوع »[٢] .

عُمَير بنُ سعد ... نسيجُ وحدِه :

الحافظُ للعهد ، الوافي بالوعد ، اللَّقن الحفيظ ، الخَشن الغليظ ، جمال الوُلاة ، وحُجّة الله على الرعاة .

« قال الذهبي : استعمله عمرُ على حِمص ، وكان من الزُّهاد .

قال عبد الرحمن بن عمير بن سعد الأنصاري : قال لي ابن عمر : ما كان مِن المسلمين رجلٌ مِن الصحابة أفضل من أبيك .

وقال ابن سيرين : كان عُمر من عُجْبه بعُمير بن سعد يُسميه : « نسيج وحدِه » ، وبعثه مرّة على جيش .

وقال المفضل الغلابي : زهّادُ الأنصار ثلاثة : أبو الدرداء ، وشدّاد بن أوس ، وعمير بن سعد »[٣] .

« بعثه عمر بن الخطاب عاملًا على حمص ، فمكث حوْلًا لا يأتيه خبرُه ، فقال عمر لكاتبه : اكتب إلى عُمير ، فواللهِ ما أراه إلا قد خاننا : « إذا جاءك كتابي هذا فأقبلْ ، وأقبلْ بما جبيْتَ مِن فيْء المسلمين ، حين

---

(١) إسناده حسن : رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه ، وقال الأرناؤوط : إسناده حسن .

(٢) رواه البخاري والترمذي .

(٣) السير ٢/١٠٤ - ١٠٥ .

تنظر في كتابي هذا » . فأخذ عُمير جرابه ، فجعل فيه زادَه وقصعتَه ، وعلق إداوته ، وأخذ عنزته ، ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة . قال : فقدم وقد شحبَ لونُه واغبر وجهُه ، وطالت شعرته ، فدخل على عُمر وقال : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال عمر : ما شأنك ؟ فقال عمير : ما ترى من شأني ؟! ألستَ تراني صحيح البدن ، طاهرَ الدم ، معي الدنيا أجُرُّها بقرْنها ؟! قال : وما معك ؟ فظن عمر رضي الله عنه أنه قد جاء بمال ، فقال : معي جرابي ، أجعل فيه زادي ، وقَصْعتي آكلُ فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي ، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي ، وعَنزتي أتوكّأ عليها ، وأجاهد بها عدوّا إن عَرَض ، فوالله ما الدنيا إلا تَبَعٌ لمتاعي . قال عمر : فجئتَ تمشي ؟ قال : نعم . قال : أما كان لك أحدٌ يتبرّع لك بدابّة تركبها ؟ قال : ما فعلوا ، وما سألتُهم ذلك . فقال عمر : بئْس المسلمون خرجت مِن عندهم . فقال له عُمير : اتق اللهَ يا عمر ، قد نهاك اللهُ عن الغيبة ، وقد رأيتُهم يصلّون صلاة الغداة . قال عمر : فأين بعثتُك ؟ وأي شيءٍ صنعتَ ؟ قال : وما سؤالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : سبحان الله ! فقال عمير : أما لولا أني أخشى أن أغمّك ما أخبرتك ، بعثَتني حتى أتيتُ البلد ، فجمعتُ صلحاءَ أهلها ، فولّيْتُهم جباية فيْئهم ، حتى إذا جمعوه ، وضعتُه مواضعه ، ولو نالك منهُ شيءٌ لأتيتُك به . قال : فما جئتَنا بشيءٍ ؟ قال : لا . قال : جدِّدوا لعُمير عهدًا . قال : إنّ ذلك لشيءٌ لا عملتُ لك ، ولا لأحدٍ بعدك ، والله ما سلِمْتُ ، بل لم أسلم ، لقد قلتُ لنصراني : أي أخزاكَ الله ، فهذا ما عرّضتني له يا عمر ، وإنّ أشقى أيامي يومَ خلفتُ معك . فاستأذنه فأذن له ، فرجع إلى منزله . قال : وبينه وبين المدينة أميالٌ ، فقال عمر - حين انصرف عُمير -: ما أراه إلا قد خاننا . فبعث رجلًا يُقال له : الحارث ، وأعطاه مائة دينار ، فقال له : انطلق إلى عمير ، حتى تنزل به كأنّك ضيف ، فإن رأيتَ أثر شيءٍ فأقْبل ،

وإن رأيت حالة شديدة فادفع إليه هذه المائة الدينار . فانطلق الحارث ، فإذا هو بعمير جالس يفلّي قميصه إلى جانب الحائط ، فسلّم عليه الرجل ، فقال له عمير : انزل ، رحمك الله . فنزل ثم سأله ؛ فقال : من أين جئت ؟ قال : من المدينة . قال : فكيف تركتَ أمير المؤمنين ؟ قال : صالحًا . قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين . قال: أليس يقيم الحدود ؟ قال : بلى ، ضرب ابنًا له أتى فاحشةً ، فمات من ضربه . فقال عمير : اللهمّ أعِنْ عمر ، فإني لا أعلمه إلا شديدًا حبُّه لك . قال : فنزل به ثلاثة أيام ، وليس لهم إلا قُرْصَةٌ مِن شعير ، كانوا يَخصُّونه بها ويَطْوون ، حتى أتاهم الجهد ، فقال له عمير : إنك قد أجعْتَنا ، فإنْ رأيتَ أن تتحوَّل عنّا فافعلْ . قال : فأَخرج الدنانير ، فدفعها إليه ، فقال : بعَثَ بها إليك أمير المؤمنين ، فاستعن بها . قال : فصاح وقال : لا حاجة لي فيها ، رُدّها . فقالت له امرأته : إن احتجت إليها ، وإلّا فضعْها مواضعها. فقال عمير : واللهِ ما لي شيء أجعلها فيه . فشقّتِ امرأته أسفل دِرْعها ، فأعطته خِرْقة ، فجعلها فيها ، ثم خرج ، فقسّمها بين أبناءِ الشهداء والفقراء ، ثم رجع ، والرسول يظنُّ أنه يُعطيه منها شيئًا ، فقال له عمير : أقْرأْ مني أميرَ المؤمنين السلامَ . فرجع الحارث إلى عمر ، فقال : ما رأيت ؟ قال : رأيتُ يا أمير المؤمنين حالًا شديدًا . قال : فما صنع بالدنانير ؟ قال : لا أدري . قال : فكتب إليه عمر : « إذا جاءَك كتابي هذا ، فلا تضعْه من يدك حتى تُقبل » . فأقبل إلى عمر رضي الله تعالى عنه ، فدخل عليه ، فقال له عمر : ما صنعتَ بالدنانير ؟ قال : صنعتُ ما صنعتُ ، وما سؤالك عنها ؟! قال : أُنشد عليك ، لَتُخبرَنّي ما صنعت بها ؟ قال : قدّمتُها لنفسي . قال : رحمك الله . فأمر له بسُويقٍ من طعام وثوبين ، فقال : أما الطعام فلا حاجة لي فيه ، قد تركتُ في المنزل صاعينِ من شعيرٍ ، إلى أنْ آكلَ ذلك قد جاء الله تعالى بالرزق . ولم يأخذ الطعام ، وأمَّا الثوبانِ ، فقال : إنّ أمَّ فلانٍ

عارية . فأخذهما ورجع إلى منزله ، فلم يلبثْ أنْ هلَك رحمه الله ، فبلغ عمر ذلك ، فشقّ عليه وترحّم عليه ، فخرج يمشي - ومعه المشّاءُون - إلى بقيع الغرْقَد ، فقال لأصحابه : لِيَتَمَنَّ كلُّ رجلٍ منكم أمنيةً . فقال رجل : وددتُ يا أمير المؤمنين أنّ عندي مالًا ، فأعتقُ لِوجه الله عز وجل كذا وكذا . وقال آخر : وددتُ يا أمير المؤمنين أنّ عندي مالًا ، فأنفق في سبيل الله . وقال آخر : وددتُ أنَّ لي قوةً ، فأمْتَحُ بدلْوي زمزمَ لحُجَّاج بيت الله . فقال عمر : وددتُ أنَّ لي رجلًا مثلَ عمير بن سعد ، أستعين به في أعمال المسلمين »[1] .

سعيدُ بن عامر الجُمَحي ، رضي الله عنه :

زهِد في الدنيا الفتّانة السحَّارة ، ونظر إلى طُلَّابها بعيْن الحَقارة ، وسلك منهج السابقين بالحثِّ والنِّذَارة ، ورغِب عن الدنيا ، مع تقلُّدِه الولايات ، وقيامه فيها برعايته العهود والأمانات .

قال حسّان بن عطية : لمّا عزَل عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاويةَ عن الشام ، بعث سعيد بن عامر بن جُذيم الجمحي . قال : فخرج معه بجارية من قريشٍ نضيرة الوجه ، فما لبث إلّا يسيرًا حتى أصابته حاجةٌ شديدة ، قال : فبلغ ذلك عمر ، فبعث إليه بألف دينار . قال : فدخل بها على امرأته ، فقال : إنّ عمر بعث إلينا مما تَرَيْن . فقالت . لو أنك اشتريتَ لنا أَدَمًا وطعامًا ، وادّخرتَ سائرها . فقال لها : أو لا أدلُّك على أفضلَ من ذلك ؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه ، فنأكل مِن ربحها،وضمانها عليه . قالت : فنعم إذن . فاشترى أدمًا وطعامًا ، واشترى بعيريْن ، وغلاميْن يمتارانِ عليهما حوائجَهم ، وفرّقها في المساكين وأهل الحاجة . قال : فما لبث إلّا يسيرًا حتى قالت له امرأته : إنه قد نفد كذا وكذا ، فلو أتيتَ ذلك الرجل فأخذتَ

---

(١) الحلية ١/٢٤٧ - ٢٥٠ .

لنا من الربح فاشتريتَ لنا مكانه . قال : فسكت عنها . قال : ثم عاودتْه . قال : فسكت عنها حتى آذتْه ، ولم يكن يدخل بيته إلّا من ليلٍ إلى ليلٍ . قال : وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله ، فقال لها : ما تصنعين ، إنك قد آذيْتِيه ؟ وإنه قد تصدّق بذلك المال . قال : فبكتْ أسفًا على ذلك المال ، ثم إنه دخل عليها يومًا ، فقال : على رسلِك ، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ، ما أحبّ أني صددتُ عنهم وأنّ لي الدنيا وما فيها ، ولو أن خيرة من خيراتِ الحسان اطّلعتْ من السماء ، لأضاءَت لأهل الأرض ، ولَقَهر ضوءُ وجهها الشمسَ والقمرَ ، ولَنصيفٌ تُكْسى خيرٌ من الدنيا وما فيها ، فلأنت أحرى في نفسي أنْ أدعكِ لهُنّ منْ أن أدعهن لك . قال : فسمحت ورضيت .

« قال خالد بن معدان : استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي ، فلمّا قدِم حمص ، قال : يا أهل حمص ، كيف وجدتم عاملَكم ؟ فشكَوْه إليه . وكان يُقال لأهل حمص : الكُوَيْفَة الصغرى ، لِشكايتهم العمال . قالوا : نشكو أربعًا ؛ لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار . قال : أعظِم بها . قال : وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحدًا بليلٍ . قال : وعظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا : وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا . قال : عظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا : يغنظ الغنظة بين الأيام . يعني : تأخذه موْتة . قال : فجمع عمر بينهم وبينه ، وقال : اللهمّ لا تُفَيِّلْ[1] رأيي فيه اليوم ، ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار . قال : واللهِ إنْ كنتُ لأكره ذكره ، ليس لأهلي خادم ، فأعجن عجيني ، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ ، ثم أخرج

(١) لا تفيل : لا تُخَيِّبْ .

إليهم . فقال : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يُجيب أحدًا بليلٍ . قال : ما تقول ؟ قال : إنْ كنتُ لأكرهُ ذكره ؛ إني جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله عز وجل . قال : وما تشكون ؟ قالوا : إنّ له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه . قال : ما تقول ؟ قال : ليس لي خادم يغسل ثيابي ، ولا لي ثيابٌ أُبَدِّلها ، فأجلس حتى تجفَّ ، ثم أدلكها ، ثم أخرج إليهم مِن آخر النهار . قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : يَغْنظ الغَنْظة بين الأيام . قال : ما تقول ؟ قال : شهدت مصْرَعَ خبيب الأنصاري بمكة ؛ وقد بضعتْ قريش لحمَه ، ثم حملوه على جذْعَة ، فقالوا : أتحبُّ أنَّ محمدًا مكانك ؟ فقال : والله ما أحبُّ أني في أهلي وولدي ، وأنّ محمدًا ﷺ شِيكَ بشوْكة . ثم نادى : يا محمد . فما ذكرتُ ذلك اليوم ، وتركي نُصْرته في تلك الحال - وأنا مشركٌ لا أؤمن بالله العظيم - إلا ظننتُ أنّ الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا . قال : فتصيبني تلك الغَنْظَة . فقال عمر : الحمد لله الذي لم يُفَيِّلْ فراستي . فبعث إليه بألف دينار ، وقال : استعنْ بها على أمرك . فقالت امرأته : الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك . فقال لها : **فهل لك في خير من ذلك : أدفعُها إلى من يأْتينا بها أحوجَ ما نكون إليها** ؟ قالت : نعم . فدعا رجلًا من أهل بيته يثق به ، فصرّها صُرَرًا ، ثم قال : انطلقْ بهذه إلى أرملة آل فلان ، وإلى يتيم آل فلان ، وإلى مسكين آل فلان ، وإلى مُبتلَى آل فلان . فبقيتْ منها ذُهيْبَة ، فقال : أنفقي هذه . ثم عاد إلى عمله ، فقالت : ألَا تشتري لنا خادمًا ؟ ما فعل ذلك المال ؟ قال : سيأتيك أحوجَ ما تكونين »[1].

سعد بن أبي وقَّاص :

عن عامر بن سعد ، أنّ أباه سعدًا كان في غَنَمٍ له ، فجاء ابنه عمر ،

(١) الحلية ١/٢٤٤ - ٢٤٦ .

فلما رآه قال : أعوذ بالله من شرّ هذا الراكب . فلما انتهى إليه قال : يا أَبَتِ ، أرضيتَ أنْ تكون أعرابيًّا في غَنَمِك ، والناس يتنازعون في الملْك بالمدينة ؟! فضرب صدر عمر ، وقال : اسكت ؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الله عز وجل يحبُّ العبد التقيَّ الغَنيَّ الخَفِيَّ »[١].

عبد الرحمٰن بن عَوْف ، رضي الله عنه :

عن المِسْور قال : لمّا وُلِّي عبد الرحمن بن عوف الشورىٰ ، كان أحبّ الناس إليّ أنْ يَليَه ؛ فإنْ تركَ فسعدٌ ، فلحقني عمرو بن العاص فقال : ما ظنُّ خالِك عبد الرحمن بالله ، إنْ ولَّى هذا الأمر أحدًا ، وهو يعلم أنه خير منه ؟! فأتيتُ عبد الرحمن ، فذكرتُ ذلك له ، فقال : واللهِ لَأَنْ تؤخَذْ مديةٌ فتوضع في حلقي ، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر ، أحب إليّ من ذلك[٢] .

وعن عبد الرحمن بن أزهر أن عثمان اشتكى رُعافًا ، فدعا حُمران فقال : اكتبْ لعبد الرحمن العَهْد من بعدي . فكتب له ، وانطلق حمرانُ إلى عبد الرحمن ، فقال : البُشْرى . قال : وما ذاك ؟ قال : إنَّ عثمان قد كتب لك العهد من بعده . فقام بين القبر والمنبر ، فدعا ، فقال : اللهم إن كان مِن تولية عثمان إيّاي هذا الأمر ، فأمِتْني قبله . فلم يمكثْ إلا ستة أشهر حتى قبضه الله[٣].

قال الذهبي : « مِن أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف : عزلُه نفسه من الأمر وقت الشورى ، واختياره للأمة مَن أشار به أهلُ الحَلِّ والعقْد ، فنهض في ذلك أتمَّ نهوضٍ على جمعِ الأمة على عثمان ، ولو كان محابيًا فيها ، لأخذها

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده .
(٢) سير أعلام النبلاء ١/٨٧ - ٨٨ ، وابن سعد في الطبقات ٣/١/٩٤ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١/٨٨ .

لنفسه ، أوْ لَوَلّاها ابنَ عمّه وأقرب الجماعة إليه : سعد بن أبي وقاص »[(١)].

قال أبو العُبَيْديْن لعبد الله بن مسعود : يا أصحابَ محمد ، لا تختلفوا فتشقُّوا علينا . فقال : يرحمك الله أبا العبيدين ، إنما أصحاب محمد ﷺ الذين دُفنوا معه في البُرُد[(٢)].

عبد الله بن عمر :

قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيتُ أحدًا أشبَه بأصحاب النبي ﷺ - الذين دُفنوا في النّمار - من عبد الله بن عمر[(٣)] .

وعن عبد الله بن المبارك قال : حدثنا وهيب أن ابن عمر باع حمارًا ، فقيل له : لو أمسكْته . فقال : لقد كان لنا موافقًا ، ولكنه أذهب بشُعبةٍ من قلبي ، فكرهت أنْ أشغل قلبي بشيءٍ[(٤)].

عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما :

قال عبد الله بن عمرو : مرّ عليّ رسول الله ﷺ ، ونحن نعالج خُصًّا لنا وهِيَ : فقال : « ما هذا ؟ » . فقلنا : خُصٌّ لنا وَهِيَ فنحن نصلحه . فقال رسول الله ﷺ : « ما أرى الأمر إلا أعجل مِن ذلك »[(٥)].

وعنه رضي الله عنه قال : مرّ بي رسول الله ﷺ ، وأنا أُطيّنُ حائطًا

---

(١) السير ٨٦/١ .
(٢) يعني : دُفنوا في برودهم التي كانت على أجسامهم ، لم يجدوا لهم كفنًا لما كانوا فيه من ضيق العيش . انظر الزهد والرقائق ص١٨٤ .
(٣) الحلية ٣٠١/١ .
(٤) الزهد والرقائق ص١٩٤ .
(٥) رواه أبو داود ، وابن ماجه والترمذي ، وصححه الترمذي ، والألباني في صحيح أبي داود رقم ٤٣٦٢ .

لي ، أنا وأمي ، فقال : « ما هذا يا عبد الله ؟ » . فقلتُ : يا رسول الله ، شيء أصلحه . فقال : « الأمر أسرع مِن ذاك »[1].

فضالة بنُ عبيد ، والي مصر :

« رُئي فضالة بن عبيد – وهو والي مصر – أشعثَ حافيًا ، فقيل له : أنت الأمير ، وتفعل هذا ؟! فقال : نهانا رسول الله ﷺ عن الإرفاء ، وأمرنا أن نحتفي أحيانًا »[2].

عَمرُو بن الأسود العَنْسي :

قال رحمه الله : « لا ألبس مشهورًا أبدًا ، ولا أنام بليلٍ أبدًا على دِثار أبدًا ، ولا أركب على مأثور أبدًا ، ولا أملأ جوْفي من طعامٍ أبدًا » . فقال عمر : « مَن سرّه أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ ، فلينظر إلى عمرو بن الأسود »[3].

سُويد بن غَفَلة بن عَوْسجة ، الإمام القدوة :

كان رحمه الله إذا قيل له : أُعطيَ فلانٌ ، ووُلّي فلانٌ . قال : حسبي كسرتي ومِلْحي .

وعن علي بن المديني رحمه الله : دخلتُ منزلَ أحمد بن حنبل ، فما شبّهته إلّا بما وُصِف مِن بيت سُوَيد بن غَفَلة ؛ من زهدِه وتواضعِه،رحمه الله[4].

أُوَيْس القرني: سيِّد التابعين، وشيخ الزُّهاد والعابدين، كبيرُ أولياء التابعين، الإمام القدوة :

« قال علقمة بن مَرْثد : انتهى الزهد إلى ثمانيةٍ من التابعين : عامر بن

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٤٣٦١ .

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد جيد .

(٣) رواه أحمد بإسناد جيد – الإحياء ٤/٢٤٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٧١ – ٧٢ .

عبد الله، وأويس القَرْني، وهرم بن حيّان، والربيع بن خُثيم، وأبو مسلم الخولاني، والأسود بن يزيد ، ومسروق بن الأجدع ، والحسن بن أبي الحسن »[١] .

قال علقمة بن مرثد : « وأمّا أويس القرني ، فإنّ أهلَه ظنُّوا أنه مجنون ، فبنَوْا له بيتًا على باب دارهم ، فكانت تأتي عليهم السَّنَة والسنون ، لا يرون له وجهًا ، وكان طعامه ممّا يُلتقَط من النوىٰ ، فإذا أمسى باعه لإفطاره ، وإنْ أصاب حَشَفةً حَبسها لإفطاره ، فلما وُلّي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا أيُّها الناس ، قوموا بالمَوْسم . فقاموا ، فقال : ألَا اجلسوا ، إلّا من كان من أهل الكوفة . فجلسوا ، فقال : ألَا اجلسوا ، إلّا مَن كان مِن أهل اليمن . فجلسوا ، فقال : ألا اجلسوا ، إلا مَن كان مِن مراد . فجلسوا ، فقال : ألا اجلسوا إلا مَن كان مِن قرن . فجلسوا إلا رجل ، وكان عَمّ أُويس بن أنيس ، فقال له عمر : أقَرنيٌّ أنت ؟ قال : نعم . قال : أتعرف أويْسًا ؟ قال : وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين ؟! فوالله ما فينا أحمق منه ، ولا أجنّ منه ، ولا أحوج منه . فبكى عمر ، وقال : بكَ لا بهِ » .

« وعن أسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى عليه أُوَيْس ، فقال : أويسُ بن عامر ؟ قال : نعم . قال : مِن « مراد » ثم مِن « قرن » ؟ قال : نعم . قال : فكان بك بَرَصٌ فبرئْتَ منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال:رسول الله ﷺ يقول : « يأتي عليكم أويسُ بن عامر مع أمدادِ أهل اليمن مِن مراد ، ثم من قرن ،

---

(١) زهد الثمانية من التابعين لعلقمة بن مرثد ، رواية : ابن أبي حاتم ص٣٨ تحقيق : د . عبد الرحمن الفريوائي – مكتبة الدار ، بالمدينة المنورة .

كان به بَرَصٌ فبرئ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو برٌّ بها ، لو أقسم على الله لَأَبَرَّهُ ... فإنِ استطعتَ أنْ يستغفر لك ، فافعلْ » . فاستغفرْ لي ، فاستغفر له ، فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألَا أكتب لك إلى عامِلِها ؟ قال : أكون في غَبْراء الناسِ أَحَبُّ إليّ . فلما كان من العام المُقْبل ، حجَّ رجلٌ مِن أشرافهم ، فوافق عمرَ ، فسأله عن أُوَيْس ، قال : تركتُه رثَّ البيت ، قليلَ المتاع . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ... ثم ذكر الحديث الذي تقدّم ، فأتى أوَيْسًا ، فقال : استغفر لي . قال : أنت أحدثُ عهدًا بسَفَرٍ صالحٍ ، فاستغفر لي . قال : استغْفِرْ لي . قال : أنت أحدثُ عهدًا بسفرٍ صالحٍ ، فاستغفر لي . قال : لقيتَ عمر ؟ قال : نعم ، فاستغفرَ له . ففطن له الناس ، فانطلق على وجهه ، قال أسير : وكسوتُه بُرْدة ، فكان كلّما رآه إنسانٌ قال : مِن أينَ لأويس هذه البُرْدة »(١) .

وعن أسير بن جابر قال : « كان بالكوفة رجلٌ يتكلم بكلامٍ لا أسمع أحدًا يتكلم به ، ففقدتُه ، فسألت عنه ، فقالوا : ذاك أويس . فاستدللْتُ عليه وأتيته ، فقلت : ما حبسك عنّا ؟ قال : العُرْيُ . قال : وكان أصحابه يسخرون به ويُؤْذُونه . قلت : هذا بُرْدٌ ، فخذْه . قال : لا تفعل ؛ فإنهم إذًا يؤذونني . فلم أزلْ به حتى لبِسَه ، فخرج عليهم ، فقالوا : مَن تروْن خدَع عن هذا البرد ؟ قال : فجاء فوضعه ، فأتيتُ فقلتُ : ما تريدون مِن هذا الرجل فقد آذيْتموه ؟ الرجل يَعْرى مرةً ، ويكتسي أخرى ، وآخذتهم بلساني أخذًا شديدًا » ... ثم نحوًا من رواية مسلم ، وفي نهايته : « فلما فشا الحديثُ ، هربَ فذهب »(٢) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣/٤ - ٢٤ ، وطبقات ابن سعد ٦١/٦ ، والحلية ٧٩/٢ .

« وعن مغيرة : إن كان أويسُ القرني ليتصدّق بثيابه ، حتى يجلس عُريانًا ، لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة »[١] .

« وعن سعيد بن المسيب قال : نادى عمر بـ « مِنى » ، على المنبر : يا أهل قرن . فقام مشايخ ، فقال : أفيكم مَن اسمه أويس ؟ فقال شيخ : يا أمير المؤمنين ، ذاك مجنون يسكن القِفار ، لا يألُف ولا يُؤْلَف . قال : ذاك الذي أعنيه ، فإذا عُدتم فاطلبوه ، وبلّغوه سلامي وسلام رسول الله ﷺ . قال : عرّفني أميرُ المؤمنين وشهّر باسمي ، اللهمّ صلّ على محمد وعلى آله ، السلام على رسول الله ثم هامَ على وجهه ، فلم يُوقَف له بعد ذلك على أثر دَهْرًا ، ثم عاد في أيام عليٍّ رضي الله عنه ، فاستُشهِد معه بـ « صِفين » ، فنظروا فإذا عليه نيِّف وأربعون جراحة »[٢] .

قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « الزهدُ زهدُ أويس ، بلَغ مِن العُرْي أنْ جلس في قَوْصَرة »[٣].

أبو مسلم الخَوْلاني : « سيّدُ التابعين وزاهدُ العصر »[٤]:

قال عنه كعب : هذا حكيم هذه الأمة .

عن علقمة بن مَرثد قال : « انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخَوْلاني ، وكان لا يجالس أحدًا قطُّ ، ولا يتكلّم في شيءٍ من أمر الدنيا إلّا تحوّل عنه ، فدخل ذات يوم المسجد ، فنظر إلى نفرٍ قد اجتمعوا ، فرجا أنْ يكونوا على ذكْر خير ، فجلس إليهم ، فإذا بعضهم

---

(١) الحلية ٨٤/٢ .

(٢) السير ٣٢/٢ .

(٣) الإحياء ٢٤٣/٤ .

(٤) هذا قول الذهبي في السير ٧/٤ .

يقول : قدم غلامي فأصاب كذا وكذا . وقال آخر : جهّزتُ غلامي . فنظر إليهم فقال : سبحان الله ! أتدرون ما مَثَلي ومَثَلكم ؟ كرجلٍ أصابه مطرٌ غزيرٌ وابِلٌ . فالتفتَ فإذا هو بمصراعيْنِ عظيميْنِ ، فقال : لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب عني هذا المطر . فدخل ، فإذا البيتُ لا سقْفَ له ، جَلستُ إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكرٍ وخيرٍ ، فإذا أنتم أصحابُ الدنيا »[١].

وعن عطاء قال : « كان أبو مسلم الخوْلاني إذا انصرف إلى منزله من المسجد ، كبّر على باب منزله ، فتُكبّر امرأتُه ، فإذا كان في صحْن داره كبّر ، فتجيبه امرأته ، فانصرف ذات ليلة فكبّر عند باب داره فلم يجبْه أحد ، وكان إذا دخل بيته ، أخذتِ امرأته رداءَه ونعلَيْه ، ثم أتتْه بطعامه . قال : فدخل البيت ، فإذا البيت ليس فيه سِراج ، وإذا امرأته جالسةٌ في البيت مُنكِسَةٌ تنكُتُ بعُود معها ، فقال لها : ما لكِ ؟ قالت : أنت لك منزلة من معاوية ، وليس لنا خادم ، فلو سألته ، فأخدَمنا وأعطاك . فقال : اللهمّ مَن أفسد عليّ امرأتي فأَعْم بصره . قال : وقد جاءتها امرأةٌ قبل ذلك ، فقالت لها: زوجُك له منزلة من معاوية، فلو قلت له يسأَل معاوية، يخدمه ويعطيه ، عِشْتم . قال : فبينا تلك المرأة جالسةٌ في بيتها إذْ أنكرتْ بصَرَها ، فقالت : ما لِسِراجكم طُفِيءَ ؟ قالوا : لا ! فعرفت ذنبها ، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي ، وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها أنْ يردَّ عليها بصرها . قال : فرحمها أبو مسلم ، فدعا الله لها ، فردّ عليها بصرها »[٢].

صَفْوان بنُ مُحَيْرِيز :

قال الحسن : دخلْنا على صفوان بن محيريز وهو في بيتٍ من قَصَب ،

---

(١) الحلية ٢/١٢٣ .
(٢) الحلية ٢/١٣٠ .

قد مال عليه ، فقيل له : لو أصلحْتَه ؟ فقال : كمْ مِن رجلٍ قد مات ، وهذا قائمٌ على حاله[١] .

أبو حــازم :

قالت امرأةُ أبي حازم لأبي حازم : هذا الشتاء قد هجم علينا ، ولا بدَّ لنا من الطعام والثياب والحطب . فقال لها أبو حازم : مِن هذا كلِّه بدٌّ ، ولكن لا بدَّ لنا من الموت ، ثم البعث ، ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ، ثم الجنة ، أو النار[٢] .

راهِبُ العرب : عامرُ بن عبدِ قيْس :

القدوة الولي الزاهد أبو عبد الله .

قال العجلي : كان ثقة من عباد التابعين ، رآه كعب الأحبار ، فقال : هذا راهب هذه الأُمّة .

عن الحسن ، أن عامرًا كان يقول : مَن أُقرىءُ ؟ فيأتيه ناسٌ ، فيُقرئهم القرآن ، ثم يقوم فيصلّي إلى الظهر ، ثم يصلّي إلى العصر ، ثم يُقرِىء الناس إلى المغرب ، ثم يصلّي ما بين العشاءَين ، ثم ينصرف إلى منزله ، فيأكل رغيفًا ، وينام نوْمةً خفيفةً ، ثم يقوم لصلاته ، ثم يتسحَّر رغيفًا ، ويخرج .

قال بلال بن سعد : « وشي بعامر بن عبد قيس إلى زياد ، فقالوا : ها هنا رجلٌ قيل له : ما إبراهيمُ عليه السلام خيرًا منك . فسكَتَ ، وقد ترك النساء . فكتب فيه إلى عثمان ، فكتب إليه : انفِهِ إلى الشام على قَتب[٣] . فلمّا جاءه الكتاب ، أرسل إلى عامر ، فقال : أنت قيل لك : ما إبراهيم خيرًا منك فسَكَتَّ ؟! قال : أمَا واللهِ ما سكوتي إلا تعجُّبٌ ،

---

(١) الإحياء ٤/٢٥٠ .

(٢) الإحياء ٤/٢٣٩ .

(٣) الرَّحْل الصغير على قدْر سنام البعير .

ولَوَدِدتُ أني غبارُ قدميْه . قال : وتركتَ النساء ؟ قال : واللهِ ما تركتهنّ إلّا أني قد علمتُ أنه يَجيءُ الولد ، وتَشَعَّبُ فيَّ الدنيا ، فأحببتُ التخلّي . فأجْلَاه على قَتَبٍ إلى الشام ، فأنزله معاويةُ معه في الخضراء[1] وبعث إليه بجارية ، وأمرها أنْ تُعلمَه ما حاله . فكان يخرج من السَّحَر ، فلا تراه إلّا بعد العَتَمة ، فيبعث معاوية إليه بطعام ، فلا يعرض له ، ويَجيءُ معه بكِسَرٍ ، فيَبلُّها ويأكل ، ثم يقوم إلى أن يسمع النداء فيخرج ، فكتب معاوية إلى عثمان يذكر حاله ، فكتب : اجعلْه أوَّلَ داخلٍ وآخِرَ خارجٍ ، ومُرْ له بعشرةٍ من الرَّقيق ، وعشرةٍ من الظهْر . فأحضَره وأخبَره ، فقال : إنَّ عليّ شيطانًا قد غلبني ، فكيف أجمع عليّ عشرة . وكانت له بغلة »[2] .

« وعن ميمون بن مهران ، أن عامر بن عبد قيس بعث إليه أميرُ البصرة : ما لك لا تَزَوّجُ النساء ؟ قال : ما تركتُهنّ ، وإني لدائبٌ في الخِطبة . قال : وما يمنعك أن تأتي الأمراء ؟ قال : إنَّ لدىٰ أبوابكم طُلَّاب الحاجات ، فادْعوهم واقضوا حاجاتِهم ، ودعُوا مَن لا حاجة له إليكم »[3] .

لله ما أحلى هـذه الكلمات ! تخرج من فمٍ طاهرٍ ، وتفيض رقّة وعُذوبة ، وزهْدًا في الدنيا ، وإقبالًا على الآخرة ، وسعيًا حثيثًا للزّواج من الحُور العِين ، يترجمها بقوله : « وإني لدائبٌ في الخِطْبة » .

« عن الحسن ، قال عامر بن عبد قيس : العيش في أربع : اللّباس ، والطعام ، والنوم،والنساء ؛ فأمّا النساء ، فواللهِ ما أُبالي : امرأة رأيتُ أو جدارًا ، وأمّا اللباس : فواللهِ ما أبالي ما واريتُ به عوْرتي ، وأما الطعام ،

---

(١) وهي دار الإمارة بدمشق .
(٢) السير ٤/١٦ .
(٣) السير ٤/١٨ .

والنوم : فلقد غلبَاني ، والله لأضارَنَّهُما جهدي . قال الحسن : فأضرّ - والله - بهما .

وفي رواية : الدنيا أربعة أجزاء : المال والنساء ، والنوْم والطعام ؛ أمّا المال والنساء : فلا حاجة لي بهما ، وأما الآخرانِ : فأيْمُ الله ، لأضُرّنَّ بهما . وقال : لأجعلنَّ الهمَّ واحدًا .

وفي رواية : واللهِ لئنِ استطعتُ ، لأجعلنَّ الهمَّ همًّا واحدًا . قال الحسن : ففعلَ وربِّ الكعبة »[١] .

قال شيخ الحرم أبو سعيد بن الأعرابي : وهذا على ما قيل في الزهد أن يكون الهمّ همًّا واحدًا لله عز وجل وحده ، وهو غاية الزهد .

مَسـرُوق بن الأجْـدع :

« غاب رحمه الله عاملًا على السلسلة سنتيْن ، ثم قدم ، فنظر أهلُه في خُرْجه فأصابوا فأسًا ، فقالوا : غِبتَ ثم جئتَنَا بفأس بلا عُودٍ . قال : إنا للهِ ؛ استعرناها ، نسينا نردُّها »[٢] .

قال مسروق رحمه الله : « إني أحسن ما أكون ظَنًّا ، حين يقول لي الخادم : ليس في البيت قفيزٌ ولا درهم » .

قال الأصمعي : كان مسروق يتمثَّل :

ويَكفيكَ ممَّا أُغلق البابُ دُونَهُ ... وأُرخي عليه السِّتْرُ ملحٌ وجَرْدق
وماءٌ فراتٌ باردٌ ثمَّ تَغْتَدي ... تعارِضُ أصحابَ الثَّريدِ المُلَيَّق
تجشأ إذَا ما هم تجشَّوْا كأنَّما ... غُذيتَ بألوانِ الطعامِ المُفَتَّق[٣]

---

(١) الزهد الكبير ٨٨ - ٨٩ ، والحلية ٢/٨٧ - ٩١ .
(٢) السير ٤/٦٦ .
(٣) الحلية ٢/٩٧ .

الحسـن البصْري : الفقيهُ الزاهد ، المتشمِّر العابد :

كان لفضول الدنيا وزينتها نابذًا ، ولِشهوةِ النفس ونخْوتها واقذًا[1] .

وكان رحمه الله إذا ذُكر صاحب الدنيا ، يقول : « والله ما بقيتْ له ولا بقي لها ، ولا سَلِم من تبعَتِها ولا شرِّها ولا حسابها ، لقد أخرج منها في خرق »[2].

وقال الحسن : رحم الله عبدًا جعل العيْش عيشًا واحدًا . رحم الله رجلًا لبس خَلِقًا ، وأكل كِسرة ، ولصِق بالأرض ، وبكى على الخطيئة ، ودأب في العبادة ، وهرب من العقوبة ابتغاءَ الرحمة ، حتى يأتيه أجلُه وهو على ذلك .

« عن حميد الطويل قال : خطب رجل إلى الحسن ، وكنت أنا السفير بينهما . قال : فكانْ قد رضيه ، فذهبتُ يومًا أُثني عليه بين يديْه ، فقلت : يا أبا سعيد ، وأزيدك أنّ له خمسين ألفِ درهم . قال : له خمسون ألفًا ، ما اجتمعت من حلال . قلت : يا أبا سعيد ، إنه - كما علمتُ - ورِعٌ مسلم . قال : إنْ كان جمَعها من حلال ، فقد ضَنّ بها عن حقٍّ ، لا والله ، لا جَرَىٰ بيننا وبينه صهرٌ أبدًا »[3] .

وقال الحسن رحمه الله : وأيمُ الله ، ما من عبدٍ قُسم له رزقُ يومٍ بيومٍ ، فلم يعلم أنه قد خير له ، إلّا عاجزٌ أو غبيُّ الرأي .

وقال هشام : سمعتُ الحسن يحلف بالله:ما أعزَّ أحدٌ الدرهمَ إلّا أذلَّه اللهُ.

---

(١) الوقذ : الضرب حتى يُشرف على الموت .

(٢) الحلية ٢/١٤٤ .

(٣) الحلية ٢/١٥١ .

وعن ابن شَوْذب ، قال : لمّا مات الحجّاج ووَلي سليمان فأقطع الناس الموت ، فجعل الناسُ يَأخذون . فقال ابن الحسن لأبيه : لو أخذنا كمَا يأخذ الناس ؟ فقال : اسكت ، ما يسرّني لو أنّ لي ما بين الجسْرَيْن بزنبيلٍ ترابٍ .

وقال أبو موسى : كنا عند الحسن ، فجاءَ ابنه فقال : أي أَبَهْ ، إنّ هذا السهم قد انكسر . فنظر إليه الحسن ، فقال : الأمر أعجلُ مِن ذلك .

« وقال الحسن : لمّا بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ ، يعرفون وجهه ويعرفون نسبه ، قال : هذا نبيٌّ ، هذا خياري ، خذوا من سنته وسبيله ، أما واللهِ ما كان يُغدىٰ عليه بالجفانِ ولا يُراح ، ولا يُغلق دونَه الأبواب ، ولا تقوم دونه الحَجَبَه ، كان يجلس بالأرض ، ويُوضَع طعامُه بالأرض ، ويلبَس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويُرْدِف خلفه ، وكان يلعَق يده .

قال الحسن : ما أكثر الراغبين عن سنة نبي الله ﷺ ، وما أكثر التَّاركين لها . ثم إنّ عُلوجًا فُسَّاقًا ، أَكَلَة ربًا وغلولٍ - قد شغلهم ربي عز وجل ومَقَتَهم - زعموا أنْ لا بأسَ عليهم فيما أكلوا وشربوا ، وستروا البيوت وزخرفوها . ويقولون : مَن حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ ويذهبون بها إلى غير ما ذهب الله بها إليه ؛ إنما جعل الله ذلك لأولياء الشيطان . الزينةُ ما رُكِبَ ظَهْرُه ، والطيبات ما جعل الله تعالى في بطونها ، فيَعمَد أحدهُم إلى نعمة الله عليه ، فيجعلها مَلاعبَ لبطْنِه وفرجه وظَهْره ، ولو شاء الله - إذْ أعطى العبادَ ما أعطاهم - أباح ذلك لهم ، ولكن تعقَّبها بما يسمعون : ﴿ **وَكُلُوا واشْرَبُوا ولا تسْرفُوا إنَّهُ لا يُحبُّ المُسْرِفين** ﴾ [الأعراف: ٣١]، فمَن أخذ نعمة الله وطُعْمتَهُ، أكل بها هنيئًا مريئًا، ومَن جعلها ملاعبَ لبطنه وفرجه وعلى ظهره ، جعلها وَبالًا يوم القيامة »[1] .

(١) الحلية ٢/١٥٣ - ١٥٤ .

وقال رحمه الله : « من رأى محمدًا ﷺ ، فقد رآه غاديًا رائحًا ، لم يضع لَبِنَةً على لبنة ، ولا قصبةً على قصبة ، رُفع له عَلَمٌ فشمّر له . النَّجا النَّجا ، ثم الوَحَا الوَحَا . على ما تعرجون ، وقد أسرع بخياركم ، وذَهب نبيُّكم ﷺ ، وأنتم في كلِّ يومٍ ترذلون ؟ العيانَ العيَانَ »[(١)] .

وقال رحمه الله : « واللهِ لقد أدركتُ سبعين بدريًّا ، أكثر لباسهم الصوف ، لو رأيتموهم لقلتم : مجانين ، ولو رأوا خياركم ، لقالوا : ما لهؤلاءِ مِن خَلاق ، ولو رأوا شرارَكم ، لقالوا : ما يُؤْمِن بيوم الحساب .. ولقد رأيتُ أقوامًا ، كانت الدنيا أهونَ على أحدهم من التراب تحت قدميْه ، ولقد رأيتُ أقوامًا ، يُمسي أحدهم لا يجدُ عشاءً إلا قوتًا ، فيقول : لا أجعل هذا كلَّه في بطني ، لأجعلنَّ بعضَه لله عز وجل . فيتصدّق ببعضه ، وإنْ كان هو أحوج ممَّن يتصدّق عليه »[(٢)] .

قال رحمه الله : أدركتُ أقوامًا وصحبتُ طوائف ، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقْبَل ، ولا يأسفون على شيءٍ منها أدبر ، ولَهِيَ كانت في أعينهم أهونَ من التراب : كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة ، لم يُطْوَ له ثوب ، ولم يُنصب له قِدْر ، ولم يَجعل بينه وبين الأرض شيئًا ، ولا أمر في بيته بصنعة طعامٍ قطُّ ، فإذا كان الليل ؛ فقيامٌ على أقدامهم ، يفترشون وجوههم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يُناجون ربَّهم في فِكَاك رقابهم ، كانوا إذا عملوا الحسنة دأَبوا في شُكْرها ، وسألوا الله أنْ يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتْهم ، وسألوا الله أنْ يغفرها لهم ، فلم يزالوا على ذلك ، واللهِ ما سلموا من الذنوب ، ولا نَجوا إلّا بالمغفرة ، رحمة الله عليهم ورضوانه[(٣)] .

---

(١) الحلية ٢/١٥٤ .
(٢) زهد الثمانية من التابعين ص٦٥ - ٦٦ .
(٣) الإحياء ٤/٢٣٩ .

قال سلام بن مسكين : كان الحسن كثيرًا ما يقول : يا معشرَ الشباب ، عليكم بالآخرة فاطلبوها ، فكثيرًا ما رأينا مَن طلب الآخرة ، فأدركها مع الدنيا ، وما رأينا أحدًا طلب الدنيا ، فأدرك الآخرة مع الدنيا .

وكان الحسنُ يقول عن الدنيا : « خَبَاثُ ! كلُّ عيدانِك مضضْنَا ، فوجدنا عاقبته مُرًّا » .

للهِ ما أحلىٰ هذا الكلام مِن الحسن، الذي يُشبِه كلامُه كلامَ الأنبياء!!.

وقال الحسن : الزاهد : الذي إذا رأى أحدًا ، قال : هذا أفضلُ مني .

إبراهيم التيمي :

قال رحمه الله : كم بينكم وبين القوم ؟! أقبلتْ عليهم الدنيا فهرَبوا منها ، وأدبرتْ عنكم فاتّبعتموها[١] .

وقال (**بلال بن سعد**): عباد الرحمن ، أمّا ما وكلكم الله به فتضيّعون ، وأما ما تكفّل الله لكم به فتطْلُبون ، ما هكذا بعث الله عباده المُوقنين . ذوو عقول في طلب الدنيا ، وبُلْه عمّا خُلِقْتم له ؟! فكما ترجون اللهَ بما تُؤَدُّون في طاعته ، فكذلك : أشفقوا من عقاب الله بما تنتهكون من معاصي الله[٢] .

نعم العاقل مَن زهِد في الدنيا وطَلَب الآخرة :

« قال أبو الدرداء رضي الله عنه : لئنْ حلفتم لي على رجلٍ منكم أنه أزهدكم ، لَأَحلفنَّ لكم أنه خيركم » .

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ص١٩٤ .

(٢) الزهد الكبير ص٨٨ .

وقال عبد الله بن مسعود : مَن أراد الآخرة أضرّ بالدنيا ، ومَن أراد الدنيا أضرّ بالآخرة ، يا قوم ، فأضرُّوا بالفاني للباقي .

« ودخل رجل على أبي ذرٍّ ، فجعل يُقلّب بصرَه في بيته ، فقال : يا أبا ذرٍّ ، ما أرى في بيتِك متاعًا ، ولا غير ذلك مِن الأثاث ! فقال : إنّ لنا بيتًا نوجِّه إليه صالِحَ متاعنا . فقال : إنه لا بدَّ لك مِن متاعٍ ، ما دمتَ ها هنا . فقال : إنّ صاحب المنزل لا يَدَعُنا فيه »[1] .

عمر بن عبد العزيز :

قال مالك بن دينار : يقولون : مالكٌ زاهد ، أيُّ زهدٍ عند مالك ، وله جُبَّة وكِساء ؟! إنما الزاهد : عمر بن عبد العزيز ؛ أتتْه الدنيا فاغرةً فَاهَا ، فتركها[2] .

وعن عوْن بن المُعمّر ، أنَّ عمر بن عبد العزيز دخل على فاطمة ، فقال : يا فاطمة ، عندكَ درهم أشتري به عِنبًا ؟ قالت : لا . قال : فعندك الفلوس أشتري به عِنبًا ؟ قالت : لا . وأقبلتْ عليه ، فقالت : أنت أمير المؤمنين ، لا تقدر على درهم تشتري به عنبًا ، ولا فلوسٍ تشتري به عنبًا ؟! قال : هذا أهونُ عليّ مِن معالجةِ الأغلال غدًا في جهنَّم[3] .

نَعَمْ .. عمر بن عبد العزيز هو الزاهد حقًّا ، « فليس مَن زهِد في الدنيا تقذُّرًا ، مثل مَن زهد في الدنيا تصبُّرًا » ، كما قال السَّري .

قال ميمون بن مهران: أقمتُ عند عمر بن عبد العزيز ستّةَ أشهر، ما رأيتُه غيَّر رداءه ، كان يُغْسل من الجمعة إلى الجمعة ، ويُبَيَّنُ بشيءٍ مِن زعفران[4] .

وعن مسلمة بن عبد الملك قال : دخلتُ على عمر ، وقميصُه وَسِخٌ ،

(١) الإحياء ٢٥٢/٤ .

(٢) الزهد الكبير ص١٠٠ .

(٣) الزهد الكبير ص١٠٠ - ١٠١ .

(٤) السير ١٣٢/٥ .

فقلت لامرأته - وهي أخت مسلمة -: اغسلوه . قالت : نفعل ، ثم عُدتُ ، فإذا القميص على حاله ، فقلتُ لها ، فقالت : واللهِ ما له قميصٌ غيره[١] .

لله درُّك يا أشجّ بني أمية ، ومَن أولى منك بهذا ؟!

قوْمٌ إذا غَسلوا الثيابَ رأيْتَهم لَبِسُوا البيوتَ وزرَّرُوا الأبوابا

صِلةُ بنُ أشيم العَدَويّ :

« قال صلة : طلبتُ الدنيا مَظانَّ حَلالِها[٢]، فجعلتُ لا أصيب منها إلا قُوتًا ، أمّا أنا فلا أُعيل[٣] فيها، وأمّا هي فلا تجاوزني، فلمّا رأيتُ ذلك، قلتُ : أي نفسُ ، جُعل رزقُك كَفافًا ، فاربعي[٤]. قال : فَرَبَعتْ ، ولمْ تكِدّ »[٥].

محمد بن واسِع :

ذكر ابن كثير في « البداية والنهاية » ، في أحداث سنة ثمانٍ وتسعين (١٨٣/٩) ، في فتح يزيد بن المهلب لجرجان : « قالوا : أصاب يزيد بن المهلب أموالًا كثيرة جدًّا ، فكان من جملتها تاجٌ فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحدًا يزهد في هذا ؟ قالوا : لا نعلمه . فقال : واللهِ إني لَأَعلمُ رجلًا ، لو عُرض عليه هذا وأمثاله ، لزهِد فيه . ثم دعا بمحمد بن واسع - وكان في الجيش مغازيًا - فعرض عليه أخْذَ التاج ، فقال : لا حاجة لي فيه . فقال : أقسمتُ عليك لَتأخذنَّهُ . فأخذه ، وخرج به من عنده ، فأمر يزيدُ رجلًا أنْ يتبعَه ، فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فمرَّ بسائل ، فطلب منه شيئًا ، فأعطاه التاج بكماله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج ، وعوَّضه عنه مالًا كثيرًا » .

---

(١) السير ١٣٤/٥ .

(٢) يعني : مواضع الحلال .

(٣) لا أعيل فيها : لا أفتقر .

(٤) اقتصري على هذا ، وارْضَي به .

(٥) الزهد الكبير ص١١٠ .

يزيدُ بنُ مَرْثـد ، القدوة ، الزاهـد في الرئاسـة :

عن الـوضين بن عطاء ، قال : « أراد الوليد بن عبد الملك أنْ يُولّي يزيد بن مرثد ، فبلَغ ذلك يزيدَ بن مرثد ، فلبس فروه قد قَلَبه ، فجعل الجلد على ظهره والصوفَ خارجًا ، وأخذ بيده رغيفًا وعِرقًا ، وخرج بلا رداءٍ ، ولا قلنسوةٍ ولا نعل ولا خفٍّ ، وجعل يمشي في الأسواق ، ويأكل الخبز واللحم ، فقيل للوليد : إنّ يزيد بن مرثد قد اختلطَ ، وأُخبر بما فعله ، فتركه »[1] وبعدها شُفي الشيخُ مِن الجنون .

فرضي الله عنك أيُّها البَكَّاء الموجد ، يزيد بن مرثد ! لقد نفعك التلقّي عن أبي الدرداء ، وأبي ذر ، ومعاذ بن جبل .

إبراهيمُ بنُ أدْهَم: القدوة، الإمام، العارِفُ، سيّد الزُّهاد، أبو إسْحاق :

لله درُّ رجلٍ يصفه الذهبي بأنه « الإمام العارف ، سيد الزهاد » . زهِد في الرئاسة والجاه والمنصب ، وهو ابن الملوك .

قال إبراهيم بن أدهم : « كان أبي مِن أهل « بلخ » ، وكان من ملوك خراسان ، وكان من المياسر ، وحُبِّبَ إلينا الصيد ، فخرجتُ راكبًا فرسي ، وكلبي معي ، فبينما أنا كذلك ، فثار أرنبٌ أو ثعلبٌ ، فحركتُ فرسي ، فسمعت نداءً من ورائي : ليس لهذا خُلقتَ ، ولا بذا أُمِرْتَ . فوقفتُ أنظر يَمْنةً ويسْرةً فلا أرى أحدًا ، فقلت : لعَن الله إبليس ، ثم حرّكتُ فرسي ، فأسمعُ نداءً أجهرَ من ذلك : يا إبراهيم ، ليس لذا خلقتَ ، ولا بذا أمرتَ . فوقفتُ أنظر يمنة ويسرة فلا أرى أحدًا ، فقلت : لعن الله إبليس ، ثم حرّكتُ فرسي ، فأسمع نداءً من قربوس سَرْجي : يا إبراهيم ، ما لذا خُلقتَ ، ولا بـذا أمرتَ . فوقفت فقلتُ : أُنْبهتُ ، أنبهتُ ؛ جاءني نذيرٌ من رب

---

(١) حلية الأولياء ١٦٥/٥ .

العالمين ، والله لا عصيت الله بعد يوْمي ذا ما عصمني ربي ، فرجعتُ إلى أهلي فخلّيتُ عن فرسي ، ثم جئتُ إلى رعاةٍ لأبي ، فأخذتُ منه جُبَّة وكساء ، وألقيتُ ثيابي إليه ، ثم أقبلتُ إلى العراق،أرضٌ ترفعني وأرضٌ تضعني ، حتى وصلتُ إلى العراق ، فعملتُ بها أيّامًا ، فلم يَصْفُ لي منها شيءٌ مِن الحلال ، فسألتُ بعض المشايخ عن الحلال ، فقالوا لي : إذا أردتَ الحلال ، فعليك ببلاد الشام . فصرتُ إلى بلاد الشام ، فصرتُ إلى مدينة يقال لها : المنصورة - وهي المصيصة - فعملتُ بها أيّامًا ، فلم يَصْفُ لي شيءٌ مِن الحلال ، فسألتُ بعض المشايخ ، فقالوا لي : إن أردتَ الحلال الصّافي ، فعليك بطرسوس ؛ فإنَّ فيها المباحات والعمل الكثير ، فتوجَّهتُ إلى طرسوس، فعملتُ بها أيّامًا أنطر[1] البساتين، وأحصد الحصاد »[2].

قال عبد العزيز بن أبي رواد : رحم الله إبراهيم بن أدهم ، لقد لقيتُه بخراسان ، إذا ركِب حضَر بين يديْه نحوٌ من عشرين شاكِريٍّ . ولكنه رحمه الله طلب بحبوحة الجنة[3].

« وقال خلف بن تميم : قال لي إبراهيم بن أدهم : كنتُ في بعض السواحل ، وكانوا يستخدموني ويبعثوني في حوائجهم ، وربما يتبعني الصبيانُ حتى يضربوا ساقي بالحصى ، إذْ جاء قومٌ من أصحابي فأحدقُوا بي فأكرموني ، فلما رأوْا أولئك إكرامهم لي أكرموني ، فلو رأيتموني والصبيان يرموني بالحصى ، وذلك أحلى في قلبي منهم حيث أحدقوا بي »[4].

وقال إبراهيم رحمه الله : أخاف أنْ لا أُؤجَرَ في تركي أطايب الطعام ؛

---

(١) يحرس . فالناطور هو حارس البستان .

(٢) حلية الأولياء ٣٦٨/٧ .

(٣) (٤) الحلية ٣٧١/٧ .

لأني لا أشتهيه ، وكان إذا جلس على طعام طيِّب ، قدّم إلى أصحابه ، وقنَع بالخبز والزيتون[١] .

« وعن خلف بن تميم قال : دخل إبراهيم الجبل ، واشترى فأْسًا ، فقطع حَطَبًا ، وباعه واشتري ناطفًا[٢] ، وقدّمه إلى أصحابه ، فأكلوا ، فقال يُباسِطُهم : كأنّكم تأكلون في رهْن »[٣] .

« قال علي بن بكّار : كان إبراهيم من بني عجل ، كريمَ الحَسَب ، وإذا حصد ارتجز ، وقال :

اتخـذِ اللهَ صاحبًا ودعِ الناسَ جانبًا

وكان يلبَس فروًا بلا قميص ، وفي الصيف شَقَّتَيْن بأربع دراهم ؛ إزار ورداء ، ويصومُ في الحَضَر والسفر ، ولا ينام الليل ، وكان يتفكّر ، ويقبض أصحابُه أجرته ، فلا يمسّها بيده ، ويقول : كُلُوا بها شهواتكم . وكان ينطر[٤] ، وكان يطحن بيدٍ واحدة مُدَّيْنِ من قمح » .

هذا زهد الرباني إبراهيم بن أدهم ، الذي قال عنه سفيان الثوري : « كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيمَ الخليل ، ولو كان في الصحابة ، لكان رجلًا فاضلًا »[٥] .

وقال إبراهيم بن بشار : كنتُ مع إبراهيم بن أدهم ، فأتينا على قبر مُسَنَّمٍ ، فترحَّم عليه ، وقال : هذا قبر حُمَيْد بن جابر ، أمير هذه المدن كلها ، كان غارقًا في بحار الدنيا ، ثم أخرجه الله منها ، بلغني أنه سُرّ ذات

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/٣٩١ - ٣٩٢ .
(٢) الناطف : ضرب من الحلوى ، يُصنع من اللوز والجوز والفستق .
(٣) السير ٧/٣٩٢ .
(٤) كذا عمل بالنطارة سفيان الثوري .
(٥) السير ٧/٣٩٠ .

يوم بشيءٍ ، ونام ، فرأى رجلًا بيده كتابٌ ، ففتحه ، فإذا هو كتابٌ بالذهب : لا تُؤثِرَنَّ فانيًا على باقٍ ، ولا تَغترنَّ بملكِكَ ، فإنّ ما أنت فيه جسيمٌ ، لولا أنه عديمٌ ، وهو مُلكٌ لولا أنّ بعده هُلكًا ، وفرحٌ وسرورٌ لولا أنه غرورٌ ، وهو يومٌ ، لو كان يُوثق له بغَدٍ ، فسارعْ إلى أمر الله ، فإنَّ الله قال : ﴿ **وَسَارِعُوا إلى مغفرةٍ منْ ربِّكُمْ وجنَّةٍ عرضُها السمواتُ والأرض أُعدَّتْ للمتقين** ﴾ [آل عمران : ١٣٣] . فانتبَه فَزِعًا وقال : هذا تنبيهٌ من الله وموعظة . فخرج من ملْكه وقصَد هذا الجبل ، فعبَد اللهَ فيه حتى مات(١) .

« قال إبراهيم بن بشّار الصُّوفي : خرجتُ أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولي ، وأبو عبد الله السنجاري ، نريدُ الإسكندرية ، فمررنا بنهرٍ يقال له: «نهر الأردن»، فقعدنا نستريحُ، وكان مع أبي يوسف كُسَيْراتٌ يابِساتٌ، فألقاهنَّ بين أيدينا ، فأكلنا وحمدنا الله ، فقمتُ أسعى أتناول ماءً لإبراهيم ، فبادَر إبراهيم ، فدخل النهر ، حتى بلغ الماءُ ركبتَيْه ، فقال بكفَّيْه في الماء فملأهما ، ثم قال : بسم الله . وشرب ، فقال : الحمد لله . ثم إنه خرج من النهر ، فمدّ رجْلَيه ، قال : يا أبا يوسف ، لو عَلِم الملوك وأبناءُ الملوك ، ما نحن فيه من النعيم والسرور ، لجالدُونا بالسيوف أيام الحياة ، على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلّة التعب ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، طلَب القومُ الراحةَ والنعيم ، فأخطئوا الطريق المستقيم . فتبسم ، ثم قال : من أين لك هذا الكلام ؟ »(٢) .

« وقال إبراهيم بن بشار : أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ذاتَ ليلة ، وليس معنا شيءٌ نُفطر عليه ، ولا لنا حيلة ، فرآني مُغتمّا حزينًا ، فقال : يا إبراهيم ابن بشار : ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين ، مِن النعيم والراحة في الدنيا

(١) السير ٧/٣٩٥ .
(٢) الحلية ٨/٣٧١ ، وصفة الصفوة ٤/١٢٧ ، والزهد الكبير ص١٠٨ ، واللفظ له.

والآخرة ، لا يسألهم يومَ القيامة عن زكاة ولا حجٍّ ، ولا عن صدقةٍ ، ولا عن صلةِ رحِمٍ ، ولا عن مؤاساة ، وإنما يُسأل ويحاسَبُ على هذا هؤلاء المساكين ، أغنياءُ في الدنيا فقراءُ في الآخرة ، أعزّةٌ في الدنيا أذلّةٌ يوم القيامة . لا تغتمَّ ولا تحزنْ ؛ فرزقُ الله مضمونٌ ، سيأتيك . نحن والله الملوك الأغنياء ، نحن الذين قد تعجّلنا الراحة في الدنيا ، لا نبالي على أيِّ حالٍ - أصبحنا وأمسينا - إذا أطعَمَنا اللهُ . ثم قام إلى صلاته وقمتُ إلى صلاتي ، فما لبثْنا إلّا ساعة ، فإذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفةٍ وتمر كثير ، فوضعه بين أيدينا ، فقال : كُلوا ، رحمكم الله . قال : فسلّم ، ثم قال : كُلْ يا مغموم . فدخل سائلٌ فقال : أطعِمونا شيئًا . فأخذ ثلاثة أرغفةٍ مع تمرٍ، فدفعه إليه، وأعطاني ثلاثة، وأكل رغيفين ، وقال: المؤاساة من أخلاق المؤمنين »[(١)].

بشر بن الحارث الحافي :

قال عنه الذهبي في السير (١٠/٤٦٩) : « الإمام العالم المُحدِّث الزَّاهد الربَّاني القدوة شيخ الإسلام أبو نصرٍ المروزي » .

وقال أبو نعيم عن بشر : « المكتفي بكفاية الكافي ، اكتفى فاشتَفى » .

قال بشر رحمه الله : « قل لمن طَلَب الدنيا تَهيَّأْ للذُّل » .

وقال رحمه الله : « لو سقطتْ قلنسوةٌ من السماء ، ما سقطتْ إلا على رأس من لا يريدها »[(٢)].

وكان الإمام أحمد إذا سُئل عن الزهد،فيقول : أتسألوني عن الزهد وفيكم بشر ؟!

---

(١) الزهد الكبير ص١٠٨ ، والحلية ٩/٣٧٠ .

(٢) الحلية ٨/٣٥٥ .

« أقام بشر رحمه الله بعبَّادان ، يشربُ ماء البحر ، ولا يشرب من حياض السلطان ، حتى أضرَّ بجوفه ، ورجع إلى أخته وجعًا ، وكان يعمل المغازل ويبيعها ، فذاك كسبه »[١] .

وكان رحمه الله يمشي حافيًا ويقول : الأرض بساطة .

« وقيل لأحمد : مات بشر . قال : مات والله وما له نظيرٌ ، إلّا عامر ابن عبدِ قيس ، فإنَّ عامرًا مات ولم يترك شيئًا . ثم قال أحمد : لو تزوج »[٢] .

قال بشر رحمه الله : مساكين أهل الدنيا ، هُمْ والله مَوْضعُ رحمةٍ .

« وقال بشر : ليس الزُّهد في الدنيا ترك الدنيا ، إنما الزهد أن يُزهد في كلِّ ما سوى الله . هذا داود وسليمان عليهما السلام قد مَلَكَا الدنيا ، وكانا عند الله من الزاهدين .

إنْ لم يكن داود النبي زاهدًا فمن يكون ؟! وقد كان مع مُلْكه يَأْكُلُ من عمل يده » .

وقال بشر : قال فضيل بن عياض : يا بشر ، الرِّضاء الأكبر عن الله عز وجل الزهدُ في الدنيا . قال : قلت : كيف هذا يا أبا علي ؟ قال : يكون العطاءُ في قلبك والمنعُ بمنزلةٍ واحدة .

سفيان الثوري :

قال الذهبي في السير (٧/٢٤١) : « قد كان سفيان رأسًا في الزهد ، والتَّألُّه والخوف » .

قال حفص بن غياث : كنا نتعزَّى عن الدنيا بمجلس سفيان .

---

(١) السير ١٠/٤٧١ .

(٢) السير ١٠/٤٧٤ .

وقال سفيان رحمه الله : وجدتُ قلبي يَصْلح بين مكة والمدينة ، مع قوم غرباء أصحاب صوفٍ وعباء[١] .

وقال رحمه الله : الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وأول ذلك زهدك في نفسك[٢].

وقال رحمه الله : ما أنفقتُ درهمًا في بناءٍ[٣].

قال يحيى بن يمانٍ : ما رأيت مثل سفيان ! أقبلتِ الدنيا عليه ، فصرف وَجْهَه عنها .

وعن ابن مهدي قال : قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه ، فأجَّر نفسه لحفظ ثماره ، فمرّ به بعض العشَّارين ، فقال : من أنت يا شيخ ؟ قال : من أهل الكوفة . قال : أَرُطبُ البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال : لم أذق رطب البصرة . قال : ما أكذبك ! البرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرطب الساعة . ورجع إلى العامل ، فأخبره ليُعجبه ، فقال : ثكلتك أمك ! أَدْرِكْه ، فإن كنت صادقًا ، فإنه سفيان الثوري ، فخُذْه لنتقرَّبَ بِهِ إلى أمير المؤمنين . فرجع في طلبه فما قدر عليه[٤] .

لله دَرُّك يا إمام من زاهدٍ ومن وَرِعٍ .

عن يوسف بن أسباط ، سمعت سفيان يقول : « ما رأيتُ الزهد في شيءٍ أقلّ منه في الرِّئاسة ؛ ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب ، فإن نُوزع الرئاسة حامى عليها وعَادى »[٥].

---

(١) (٢) السير ٢٦٨/٧ ، والحلية ٦٩/٧ .

(٣) السير ٢٥٧/٧ .

(٤) السير ٢٥٨/٧ .

(٥) السير ٢٦٢/٧ .

وعن وكيعٍ قال : قال سفيان الثوري : الزُّهد في الدنيا قِصَرُ الأمل ، ليس بأكل الغليظ ، ولا لبس العبا .

وعن بشر بن الحارث قال : قيل لسفيان الثوري : أيكون الرجل زاهدًا ويكون له المال ؟ قال : نعم . إذا ابتُلِيَ صبر ، وإذا أُعطِيَ شكر .

وقال سفيان في قوله تعالى : ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أحسن عملا** ﴾ : الزهد في الدنيا .

قال بعضهم : قوَّمتُ ثوبَيْ سفيان ونعليْه بدرهمٍ وأربعة دوانق .

أبو معاوية الأسود :

قال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الخِرَقَ من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها . فقلت : إنك تُكسي خيرًا من هذا !! فقال : ما ضرّهم ما أصابهم في الدنيا ، جَبَرَ الله لهم بالجنة كلَّ مصيبة . فجعل يحيى بن معين يحدِّث بها ويبكي[1] .

اللهَ اللهَ ... ولِمَ لا يبكي يحيى ، رقيق القلب ... وهو يرى قولًا يُصَدقه العملُ ... وهو يرى الزُّهد في كماله ... وجواهرَ الكَلِمِ تخرج من الأفواه الطَّاهرة لساداتٍ عن الدنيا مسافرة ، ولدارِ الآخرة دومًا راحلة .. وخلَّفوا وراءهم قومًا يرفعون الطين ، ويضعون الدين ، ويهملجون بالبراذين كلاب الأماني .. أصبح دينُ أحدهم لَعْقةً على لسانه ؛ يقول : أومن بيوم القيامة ، وكَذبَ ومَالكِ يوم الدين ..

معروف الكرخي :

عن الفاني مصروف، وبالباقي مشغوف، وبالتُّحَف محفوف، الكرخي أبو محفوظ معروف .

---

(١) الإحياء ٤/٢٤٩ .

قال عنه الذهبي في « السير » (٣٣٩/٩) : « عَلَم الزُّهّاد ، بركة العصر » .

« قال إسماعيل بن شدّاد : قال لنا سفيان بن عيينة : ما فعل ذلك الحَبْر الذي فيكم ببغداد ؟ قلنا : من هو ؟ قال : أبو محفوظ معروف . قلنا : بخير . قال : لا يزال أهل تلك المدينة بخيرٍ ما بقي فيهم »[١] .

قال أبو بكر الزَّجَّاج : قيل لمعروف الكرخي في علَّته : أوصِ . فقال : إذا متُّ فتصدّقوا بقميصي هذا ، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانًا ، كما دخلت إليها عريانًا .

والله هذه الغاية التي تقصر دونها همم الرجال ... فكيف بلغها معروف وطار بسبقها .

وإن كان الزهد هو قصر الأمل ، فقد كان معروف رأسًا في قصر الأمل .

« قال أحمد بن إبراهيم الدورقي : حضرت الصلاة فقال معروف لأبي نوبة : صلِّ بنا ، فقال : إن صلّيتُ بكم هذه الصلاة ، لا أُصلّي بكم غيرها . فقال معروف : وأنت تُحدِّث نفسك أن تصلي صلاةً أُخرى ، نعوذ بالله من طول الأمل ؛ فإنه يمنع خير العمل »[٢] .

الإمام الزاهد شيخ خراسان ، شقيق البَلْخي : الرائد العقيق ، الزاهد الحقيق ، أبو عليٍّ البلخي شقيق :

قال علي بن محمد بن شقيق : كان لجدي ثلاثمائة قرية ، ثم يوم قتل بواشكرد لم يكن له كفن يكفَّن فيه ، قدَّمه كلَّه بين يديه . قال : وقد كان

---

(١) الحلية ٣٦٦/٨ ، وتاريخ بغداد ٢٠١/١٣ ، والسير ٣٤٠/٩ .

(٢) الزهد الكبير ص٢٣٧ .

خرج إلى بلاد الترك لتجارةٍ وهو حَدَث ، إلى قومٍ يقال لهم « الخصوصيّة » وهم يعبدون الأصنام ، فدخل إلى بيت أصنامهم ، وعالمهم فيه حَلَق رأسه ولحيته ، ولبس ثيابًا حمراء أُرجُوانِيَّة ، فقال له شقيق : إن هذا الذي أنت فيه باطل ، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلْق خالق وصانع ليس كمثله شيء ، له الدنيا والآخرة ، قادر على كل شيء ، رازق كل شيء . فقال له الخادم : ليس يُوافق قَوْلَك فِعْلُك . فقال له شقيق : كيف ذاك ؟ قال : زعمت أن لك خالقًا رازقًا قادرًا على كل شيء ، وقد تغيَّبتَ إلى هاهنا لطلب الرزق ، ولو كان كما تقول ، فإن الذي رزقك هاهنا هو الذي يرزقك ثمَّ ، فتربح العَنَا . قال شقيق : وكان سبب زهدي كلام التُّرْكِيّ . فرجع فتصدّق بجميع ما ملك ، وطلبَ العلم[1] .

« وعن شقيق قال : كنتُ شاعرًا فرزقني الله التوبة ، وخرجت من ثلاثمائة ألف درهم ، ولبست الصوف عشرين سنة ، ولا أدري أني مُراءٍ ، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي روَّاد ، فقال : ليس الشأن في أكْل الشعير ولُبس الصوف ، الشأن أن تعرف الله بقلبك ، ولا تُشرك به شيئًا ، وأن ترضى عن الله ، وأن يكون بما في يد الله أوْثَق منك بما في أيدي الناس »[2] .

عن شقيق قال : أخذت لباس الدُّون عن سفيان ، وأخذت الخشوع من إسرائيل ، وأخذت العبادة من عبَّاد بن كثير ، والفقه من زُفَر[3] .

وقال رحمه الله : سبعة أبواب يُسلك بها طريق الزُّهّاد : الصبر على الجوع بالسرور لا بالفتور ، بالرضا لا بالجزع ، والصبر على العُري بالفرح

---

(١) حلية الأولياء ٥٩/٨ ، والسير ٣١٣/٩ .
(٢) حلية الأولياء ٥٩/٨ ، والسير ٣١٤/٩ .
(٣) السير ٣١٥/٩ .

لا بالحزن ، والصبر على طول الصيام بالتفضل لا بالتَّعسُّف ، كأنه طاعِمٌ ناعِم ، والصبر على الذُّلّ بطيب نفسه لا بالتكرُّه ، والصبر على البؤس بالرضا لا بالسخط ، وطول الفكرة فيما يُودع بطنه من المطعم والمشرب ، ويكسو به ظهره : من أين ، وكيف ، ولعلَّ ، وعسى . فإذا كان في هذه الأبواب السبعة ، فقد سلك صدرًا من طريق الزهاد ، وذلك الفضل العظيم .

وقال رحمه الله : « ثلاث خصال هي تاج الزاهد ؛ الأولى : أن يميل على الهوى ولا يميل مع الهوى . والثانية : ينقطع الزاهد إلى الزهد بقلبه . والثالثة : أن يذكر كلَّما خلا بنفسه كيف مدخله في قبره ، وكيف مخرجه ، ويذكر الجوع والعطش والعري ، وطول القيامة والحساب والصراط ، وطول الحساب والفضيحة البادية ، فإذا ذكر ذلك شَغَلَه عن ذكْر دار الغرور . فإذا كان ذلك ، كان من مُحِبِّي الزُّهّاد ، ومن أحبهم كان معهم » .

وكان رحمه الله يقول : « كما لا يُطالبكم بصلاة غدٍ ، فلا تطلبوا منه رزق غدٍ ، عسى أن لا تصيروا إلى غد »[1] .

« وقال الحاكم : قدم شقيقٌ نيسابور في ثلاثمائةٍ من الزُّهّاد ، فطلب المأمون أن يجتمع به ، فامتنع » .

وهذا (**حاتم الأصمّ**) : « يدخل على محمد بن مقاتل قاضي الرّيّ وهو عليل ، فإذا دار نور ، وأمتعة وستور ، وجمع ، وإذا فُرُشٌ وطيئة ، فقال له : في ما أدَّاه جبريل عن الله ، وأدّاه إلى رسول الله ﷺ ، وأدّاه رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وأدّاه أصحابه إلى الثقات ، وأدّاه الثقات إليك ،

---

(١) السير ٩/٣١٥ .

هل سمعت في العلم مَنْ كان في داره أمير أو منعة أكثر ، كانت له المنزلة عند الله أكثر ؟ قال : لا . قال : فكيف سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحبَّ المساكين وقدَّم لآخرته ، كان له عند الله المنزلة أكثر ؟ قال حاتم : فأنت بمن اقتنعتَ ؟ بالنبي ﷺ وأصحابه والصالحين ؟ أم بفرعون ونمرود أوَّل مَنْ بنى بالجصّ والآجُرّ ، يا علماء السوء مِثْلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا ، الراغب فيها ، فيقول : العالم على هذه الحالة ، لا أكون أنا شرًّا منه . وخرج من عنده ، فازداد ابنُ مقاتل مرضًا . فبلغ ذلك أهل الرّيّ ، ما جرى بينه وبين ابن مقاتل ، فقالوا له : يا أبا عبد الرحمن ، إن الطنافسي بقزوين أكثر شيء من هذا . قال : فسار إليه متعمِّدًا فدخل عليه ، فقال له : رحمك الله ، أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني أوّل مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي ، وكيف أتوضّأ للصلاة . قال : نعم وكرامة ، يا غلام ، إناء فيه ماء . فأتي بإناءٍ فيه ماء ، فقعد الطنافسي فتوضّأ ثلاثًا ثلاثًا ثم قال : يا هذا ، هكذا تتوضأ . قال حاتم : مكانك - يرحمك الله - حتى أتوضأ بين يديك ، فيكون أوْكَد لما أريد . فقام الطنافسي فقعد حاتم فتوضأ ثلاثًا ثلاثًا ، حتى إذا بلغ غسْل الذراعين ، غسل أربعًا ، فقال له الطنافسي : يا هذا ، أسرفتَ . قال له حاتم : فبماذا ؟ قال : غسلتَ ذراعيك أربعةً . فقال حاتم : يا سبحان الله !! أنا في كفّ من ماءٍ أسرفت ، وأنت في هذا الجمْع كلِّه لم تُسرف ؟!! فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك . ولما دخل إلى المدينة المنورة استقبله أهل المدينة ، فقال : يا قوم أيّ مدينةٍ هذه ؟ قالوا : مدينة رسول الله ﷺ . قال : فأين قصر رسول الله ﷺ فأُصلِّي فيه ركعتين ؟ قالوا : ما كان له قصر ، إنما كان له بيت لاطيء. قال : فأين قصور أصحابه بعده ؟ قالوا : ما كان لهم قصور ، إنما كانت لهم بيوت لاطئة . قال حاتم : يا قوم ، هذه مدينة فرعون وجنوده . فذهبوا به إلى السلطان فقالوا : هذا العجمي يقول : هذه مدينة فرعون وجنوده .

قال الوالي : ولم ذاك ؟ قال حاتم : لا تعجل عليَّ ، أنا رجل أعجمي غريب ، دخلتُ المدينة فقلت : مدينة من هذه ؟ قالوا : مدينة رسول الله ﷺ . قلت : فأين قصر رسول الله ﷺ فأصلي فيه ركعتين ؟ قالوا : ما كان له قصر ، إنما كان له بيتٌ لاطيء . قلت : فلأصحابه بعده . قالوا : ما كان لهم قصور ، إنما كانت بيوتهم لاطئة . وقال الله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ** ﴾ [الأحزاب : ٢١] فأنتم بمن تأسَّيْتم ؛ برسول الله ﷺ وأصحابه ، أو بفرعون أوَّل من بنى بالجصِّ والآجرّ ؟!! فخلّوا عنه وعرفوه »[١] .

فلله دَرُّ حاتم من فقيه دعوةٍ ومربي رجالٍ .

الخليل بن أحمد الفراهيدي :

قال عنه الحافظ الذهبي : « وهو معدود من الزُّهّاد . كان يقول : إني لأُغلق عليّ بابي فما يجاوزه همّي » .

وقيل : كان متقشِّفًا متعبِّدًا .

قال النضر : أقام الخليل في خصٍّ له بالبصرة لا يقدر على فلسين ، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال ، وكان كثيرًا ما ينشد :

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تجدْ ذُخْرًا يكون كصالح الأعمالِ[٢] .

وقال رحمه الله :

حَسْبُكَ مِن دهرِكَ هذا القُوتُ ما أَكْثَرَ القوتَ لمَنْ يموتُ[٣] .

الإمام الوليّ أبو داود عمر بن سعد الحفري :

« قال وكيع بن الجرَّاح : « إنْ كان يُدفع بأحدٍ في زماننا ، فبأبي داود

---

(١) الحلية ٨/٨٠ - ٨٢ .

(٢) السير ٧/٤٣٠ ، ٤٣١ .

(٣) الزهد الكبير ص١١٠ .

الحفري » .

أبطأ يومًا في الخروج إلى الجماعة ، ثم خرج فقال : أعتذرُ إليكم ، فإنه لم يكن لي ثوبٌ غير هذا ، صلَّيتُ فيه ، ثم أعطيته بناتي حتى صَلَّيْن فيه ، ثم أخذتُه وخرجتُ إليكم .

قال محمد بن عبد الرحمن الجوهري : « رأيتُ أبا داود الحفري ، وكان لا يُرى أديمُ جسده من الشعر ، وعليه خِرقتان : إزار ورداء فيه عدَّة رِقاعٍ » .

تزوّج أبو داود بامرأةٍ فأصدقها ثلاثة دنانير ، وكان قُوته كلَّ ليلةٍ قرصين وبِفِلْسٍ فجل أو هِنْدِبا .

قال أبو حمدون الطّيّب المقرىء : دفنَّا أبا داود الحفري رحمه الله ، وتركنا بابه مفتوحًا ، ما كان في البيت شيء »[١] .

الإمام أحمد بن حنبل :

حَمَى نَفْسَهُ الدنيا وقد سنحتْ له فمنزلُه إلَّا مِنَ القُوتِ مُقْفِرُ

رحم الله إمام أهل السنة وزاهدهم ، القائل : عزيزٌ عليَّ أن تذيب الدنيا أكبادَ رجالٍ وعتْ صدورُهم القرآن[٢] .

وقال رحمه الله : ما أعدلُ بفضل الفقر شيئًا ، تدري إذا سألك أهلُك حاجةً لا تقدر عليها ، أيّ شيءٍ لك من الأجر[٣] .

خرج - رحمه الله - وهو إمام الدنيا إلى عبد الرزاق فانقطعتْ به النفقة ؛ فأكْرَى نَفْسَه من بعض الحمّالين إلى أن وافى صنعاء .

وكان رحمه الله ربما احتاج ، فنسخ بأُجرة . وربما احتاج ، فخرج إلى اللّقاط ؛ أي المزارع بعد استئذان أصحابها ؛ ليلتقط السّنبل الذي تخطئه

---

(١) السير ٩/٤١٦ - ٤١٧ ، وتهذيب الكمال .
(٢) مناقب الإمام أحمد ص٢٥٩ .
(٣) المناقب ص٢٥٧ .

المناجل .

قال رحمه الله : قد خرجت إلى طرسوس على قدمي ، وقد كنّا نخرج في اللّقاط[١] .

ورَهَن إمامُ الدنيا نعلَهُ عند خبّازٍ ، على طعامٍ أخذه منه عند خروجه من اليمن ؛ قال بحر البقّال - وكان من قرية عبد الرزاق -: كان عندنا ها هنا ، فلمّا خرج أصحابه تخلَّف من بعدهم ، فمرَّ بي فقال : يا بحر ، لك عندي درهم ، خُذ هذه النعل ، فإن بعثت إليك من صنعاء بالدرهم ، وإلّا فالنَّعل لك ، أرضيتَ ؟ قلت : نعم . ومضى[٢] .

قال سليمان بن الأشعث : ما رأيت أحمد بن حنبل ذَكَرَ الدنيا قطُّ .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن : أحمد بن حنبل صبر على الفقر سبعين سنة .

وقال ابنُ أبي القدور أبو جعفر القطان : كان أيامَ الغلاء يجيئني أبو عبد الله بغزْلٍ ويستره ، أبيعه ، فكنت ربما بعتُه بدرهم ونصف ، وربما بعته بدرهمين ، فتخلّف يومًا ، فلمّا جاء قلت : يا أبا عبد الله ، لم تجيء أمس . فقال : أُمّ صالحٍ اعتلَّتْ.ودفع إليَّ غزلًا ، فبعته بأربعة دراهم ، فجئت بها فأنكر ذلك وقال : لعلّك زدتَ فيه من عندك ؟ قلت : لا ؛ ما زدتُ فيه من عندي ، كان غزلًا دقيقًا[٣] .

وقال صالح : واشتريتُ جاريةً ، فاشتكتْ إليه أهلي ، فقال : قد كنتُ أكره لهم الدنيا ، وقد بلغني عنك الشيء . فقالت له : يا عمّ ، ومَنْ يكره الدنيا غيرُك . قال لها : فشأنُكِ إذَنْ .

---

(١) المناقب ص٢٨٩ - ٢٩١ .

(٢) المناقب ص٢٩٢ .

(٣) المناقب ص٣١١ .

وقال أبو بكر المروزي : رأيت أحمد بن عيسى المصري ومعه قوم من المحدِّثين ، دخلوا على أبي عبد الله ونحن بالمعسكر ، فقال له أحمد ابن عيسى : ما هذا الغمُّ يا أبا عبد الله ؟! الإسلام حنيفيَّةٌ سمحة ، بيتٌ واسع . فنظر إليهم وكان مضطجعًا ، فلمّا خرجوا قال لي : انظر إلى هؤلاء ، ما أريد أن يدخل عليَّ منهم أحدٌ .

وقال إسحاق بن هانيء النيسابوري : قال لي أبو عبد الله : بكِّر يومًا حتى تعارضني بشيءٍ من الزهد . فبكّرتُ إليه ، وقلت لأُمّ ولده : أعطني حصيرًا ومخدَّة . فبسطتُه في الدّهليز ، فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمحبرة ، فنظر إلى الحصير والمخدة فقال : ما هذا ؟ فقلت : لتجلس عليه . فقال : ارفعْه ، الزهد لا يحسُن إلّا بالزهد . فرفعتُه ، وجلس على التراب[1] .

وقال الإمام أحمد لشجاع بن مخلد العطار : يا أبا الفضل ، إنما هو طعامٌ دُونَ طعام ، ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلائل .

وقال رحمه الله : أَسَرُّ أيامي إليَّ يوم أُصبح وليس عندي شيء .

أمَّا بيت أحمد ، فكان كبيتِ سويد بن غفلة ، كما قال ابن المديني .

قال عبد الملك الميموني : كان منزل أبي عبد الله ضيِّقًا صغيرًا ، وقد رأيتُ موضع مضجعه ، وفيه شَاذَكونة وبرذعة[2] .

وقال الحسن بن محمد بن الحارث : دخلت دار أحمد فرأيت في بهوه حصيرًا خَلِقًا ومسورة ، وكتبه مطروحة حواليه ، وحُبّ خزف .

وقال أبو داود : رأيت لبابِ دار أبي عبد الله سترًا خلقًا ملبّدًا ، ورأيت بقُربه شيئًا نحوًا مما تُعلّق به الأداوى في الأسفار ، عليه عدَّة

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٣١٢ - ٣١٣ .

(٢) مناقب الإمام ص٣١٦ .

قلال[١] .

وقال محمد بن موسى : كان باب أبي عبد الله بابًا كبيرًا من لبن ، ثم جئت بعدُ وعلى الباب ستر شعر .

وقال أحمد بن الحسن : دخلت على أبي عبد الله غير مرةٍ وهو متربِّع ، بين يديه كانون من طين ، وله ثلاث قوائم فيه جمر ، وتحته لبيدٌ له[٢] .

وقال صالح بن أحمد : كان أبي كثيرًا ما يأتدِم بالخلّ ، وكان يُشترى له شحم بدرهم ، فكان يأكل منه شهرًا[٣] .

وقال أبو بكر المروزي : قال لي النيسابوريُّ - صاحبُ إسحاق بن إبراهيم -: قال لي الأمير : إذا جاءوا بإفطاره فأرنيه . قال : فجاءوا برغيفين خبز وخيارة ، فأريته الأمير ، فقال : هذا لا يُجيبنا[٤] إن كان هذا يُقنعه[٥] .

وقال إمام الزُّهّاد أحمد بن حنبل : قد وجدت البرد في أطرافي ، ما أراه إلّا من إدامي؛أكل الخلّ والملح .

أمَّا لباسه : فقال حميد بن زنجويه : رأيت على أحمد بن حنبل جُبّةً خضراء ، فيها رقعة بيضاء من صوف .

وقال حمدان بن علي : رأيت على أبي عبد الله جبة وعليها رقعة بغير لونها .

وقال المروزي : أراد أبو عبد الله أن يرقِّع قميصه ، فلم يكن عنده رقعة ، فقال : أُرقّعه من إزاري . فقطعنا من إزاره فرقّعناه ، ولقد احتاج

---

(١) المناقب ص٣١٦ .

(٢) المناقب ص٣١٧ .

(٣) المناقب ص٣١٨ .

(٤) أي إلى القول بخلق القرآن .

(٥) المناقب ص٣١٨ .

غير مرةٍ إلى خرق ، فكان يقطع من إزاره ، وأعطاني خُفًّا له لأرمّه ، قد لبسه سبع عشرة سنة ، فإذا خمسة مواضع ، أو ستة مواضع ، الخَرْز فيه من بَرًّا .

وقال أبو بكر المروزي : استعمل لأبي عبد الله خُفّ ، فجئته به فبات عنده ليلة ، فلما أصبح قال : تفكّرت في أمر هذا الخفّ - أراه قال : عامَّة الليل - قد شغل عليّ قلبي قد عزم لي أن لا ألبسه ، كم ترى بقي ؟ الذي مضى أكثر مما بقي . فدفع إليَّ خُفًّا له خَلقًا ، فقال : اضرب على هذا الخف ، وسدّد خروقه . ثم قال : تدري منذ كم هذا الخف عندي ؟ نحو من ست عشرة سنة ، وإنما صار إليّ وهو لبيس ، وهذا قد شغل قلبي -- يعني الجديد -[1] .

رحم الله ابن حنبل ، وأيّ أمره لم يكن فوق الغريب .

قال حسن بن يسار : دخلت على أحمد بن حنبل وأنا صبيٌّ مع أستاذي ، يُجصِّص له بيتًا ، فقال له أحمد : جصِّصه باليد ولا تمسحه بالمالَج[2]. ثم فرشناه بالطوابيق ، فلمّا فرغنا استحسنه وقال : هذا نظيف يُصلّي عليه الرجل وليس فيه بارِيَّة ولا حصير . ودفع إليَّ كفّ تمرٍ[3] .

قال صالح : قال لي أبي : جاءني أمس رجل كنت أحب أن تراه ، بينا أنا قاعد في نحر الظهيرة ، إذا برجل سلّم بالباب ، فكأن قلبي ارتاح ، ففتحت فإذا أنا برجل عليه فروة ، وعلى رأسه خرقة ، ما تحت فَرْوِه قميص ، ولا معه ركوة ، ولا جراب ولا عكّاز ، قد لوّحَتْهُ الشمس ، فقلت : ادخل . فدخل الدّهليز ، فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من ناحية المشرق

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) المالج : الذي يطيِّن به .

(٣) مناقب الإمام ص٣١٦ .

أريد الساحل ، ولولا مكانك ما دخلتُ هذا البلد ؛ نويتُ السلام عليك . قلت : على هذه الحال ؟! قال : نعم ، ما الزهد في الدنيا ؟ قلت : قصر الأمل . قال : فجعلت أعجب منه ، فقلتُ في نفسي : ما عندي ذهب ولا فضة . فدخلتُ البيت ، فأخذت أربعة أرغفة ، فخرجت إليه فقال : أوَ يسرُّك أن أقبل ذلك يا أبا عبد الله ؟ قلت : نعم . فأخذها فوضعها تحت حِضنه ، وقال : أرجو أن تكفيني إلى الرَّقَّة ، أستودعك الله . فكان يذكره كثيرًا .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي - وذَكَرَ الدنيا - فقال : قليلها يُجزىء ، وكثيرها لا يُجزىء . وقال أبي - وقد ذُكر عنده الفقر - فقال : الفقر مع الخير .

وقال صالح : ربما رأيت أبي يأخذ الكِسَر ، ينفض الغبار عنها ، ويصيِّرها في قصعةٍ ويصبُّ عليها ماءً ، ثم يأكلها بالملح . وما رأيته اشترى رمّانًا ولا سفرجلًا ، ولا شيئًا من الفاكهة ، إلّا أن تكون بِطّيخة فيأكلها بخبزٍ،وعنبًا وتمرًا .

وقال أبي : كانت والدتك في الظلام تغزل غزْلًا دقيقًا ، فتبيع الأستار بدرهمين ، أقلّ أو أكثر ، فكان ذلك قُوتنا ، وكنّا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كي لا يراه فيوبِّخنا ، وكان ربما خُبز له ، فيجعل في فخّارة عدسًا وشحمًا وتمرات شهريز،فيجيء الصِّبيان فيصوّت ببعضهم فيدفعه إليهم ، فيضحكون ولا يأكلون ، وكان يأتدم بالخل كثيرًا .

قال : وقال أبي : إذا لم يكنِ عندي قطعة ، أفرح .

رحمك الله يا إمام أهل السنة .. حتى الصِّبيان يعافون أكلك ، ويضحكون أن قدّمتَ لهم مثل هذا الطعام .

« قال صالح : وكان ربما خرج إلى البقّال ، فيشتري الجُرْزة

الحطب والشيء فيحمله بيده »[١] .

قال المروزي : قدم رجل من الزُّهّاد ، فأدخلته على أحمد وعليه فرو خَلَق ، وخُريقة على رأسه ، وهو حافٍ في بردٍ شديدٍ ، فسلّم وقال : يا أبا عبد الله قد جئت من موضعٍ بعيد ، وما أردت إلّا السلام عليك ، وأريد عبادان ، وأريد إن أنا رجعت أُسلّم عليك . فقال : إنْ قُدِّر . فقام الرجل وسلّم وأبو عبد الله قاعد ، فما رأيت أحدًا قام من عند أبي عبد الله حتى يقوم هو إلّا هذا الرجل ، فقال لي أبو عبد الله : ما ترى ، ما أشبهه بالأبدال . أو قال : إني لأذْكُر به الأبدال . وأخرج إليه أبو عبد الله أربعة أرغفة مشطورة بكامَخ وقال : لو كان عندنا شيء لواسيناك[٢] .

قال الإمام أحمد : الزهد في الدنيا قصر الأمل .

وعنه رواية أخرى : أنه عَدَمُ فَرَحِه بإقبالها ، ولا حزنه على إدبارها ، فإنه سُئل عن الرجل يكون معه ألف دينار ، هل يكون زاهدًا ؟ قال : نعم ، على شريطة أن لا يفرح إذا زادت ، ولا يحزن إذا نقصت[٣] .

محمد بن أسلم الطوسي :

قال الحاكم : قام محمد بن أسلم مقام وكيع ، وأفضل من مقامه ؛ لزهده وورعه وتتبُّعه للأثر .

قال محمد بن القاسم : سمعت أبا يعقوب المروزي ببغداد وقلت له : قد صحبتَ محمد بن أسلم وأحمد بن حنبل ، أيّهما كان أرجح وأكبر وأبْصَر بالدين ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، لِمَ تقول هذا ؟! إذا ذكرتُ محمدًا في

(١) السير ١١/٢٠٧ - ٢٠٩ .

(٢) السير ١١/٢١٠ .

(٣) مدارج السالكين ٢/١١ .

أربعة أشياء فلا تقرن معه أحدًا : البصر بالدين ، واتّباع الأثر ، والزهد في الدنيا ، وفصاحته بالقرآن والنحو .

وقال محمد بن القاسم : دخلت على ابن أسلم قبل موته بأربعة أيام بنيسابور ، فقال : يا أبا عبد الله ، تعال أُبشِّرك بما صنع الله بأخيك من الخير ، قد نزل بي الموت ، وقد منَّ الله عليَّ أنه ما لي درهم يحاسبني الله عليه . ثم قال : أغْلِق الباب ، ولا تأذن لأحدٍ حتى أموت ، وتدفنون كتبي ، واعلم أني أخرج من الدنيا ، وليس أدَع ميراثًا غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه ، وكتبي هذه ، فلا تكلِّفوا الناس مُؤْنَة . وكان معه صرّة فيها نحو ثلاثين درهمًا ، فقال : هذا لابني ، أهداه قريبٌ له ، ولا أعلم شيئًا أحلّ لي منه ؛ لأن النبي ﷺ قال : « أنت ومالك لأبيك » ، وقال : « أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإنَّ ولده من كسبه » ، فكفِّنوني منها ، فإن أصبتم لي بعشرة ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر ، وابسطوا على جنازتي لبدي ، وغطُّوا عليها كسائي ، وأعطوا إنائي مسكينًا .

وقال أيضًا : كان يقول لي : اشتر لي شعيرًا أسود فإنه يصير إلى الكنيف ، ولا تشتر لي إلَّا ما يكفيني يومًا بيوم . واشتريت له مرَّة شعيرًا أبيض ، ونقّيْته وطحنته ، فرآه فتغيّر لونه فقال : إنْ كنتَ تنوّقت فيه ، فأطعمه نَفْسَك ، لعلّ لك عند الله أعمالًا تحتمل أن تُطعم نفسك النقيّ ، وأمَّا أنا ، فقد سرتُ في الأرض ، ودُرتُ فيها ، فبالله ما رأيت نفسًا تُصلِّي أشَرّ عندي من نفسي ، فبما أحتجُّ عند الله إن أطعمتُها النقيّ ، خذ هذا الطعام ، واشترِ لي كلَّ يومٍ بقطعة شعيرًا رديئًا ، واشتر لي رحًى حتى أطحن بيدي وآكل ، لعلّي أبلغ ما كان فيه عليٌّ وفاطمة رضي الله عنهما[1] .

---

(١) السير ١٢/١٩٧ - ٢٠١ .

فرضي الله عن ربّانيّ هذه الأمة - كما قال ابنُ خزيمة - محمد ابن أسلم الطوسي .

أبو سهل الصعلوكي ، شيخ الشافعية :

« قال الذهبي : مناقب هذا الإمام جَمَّة .

قال السلمي : سمعتُ أبا سهل يقول : ما عقدت على شيءٍ قط ، وما كان لي قفل ولا مفتاح ، ولا صررتُ على فضة ولا ذهبٍ قط »(١).

الإمام القدوة العارف ابن خفيف :

قال ابن باكويه : سمعتُ ابن خفيف يقول : ما وجبت عليّ زكاة الفطر أربعين سنة(٢).

الشيخ الإمام القدوة العابد الزاهد شيخ العارفين ، أبو العباس أحمد الرفاعي:

كان يجمع الحطب ويجيء به إلى بيوت الأرامل ، ويملأ لهم بالجرّة .

قيل : أُحضر بين يديه طبق تمر ، فبقي يُنقّي لنفسه الحَشَف يأكله ، ويقول : أنا أحقُّ بالدُّون ، فإني مثله دُون .

وكان لا يجمع بين لُبس قميصيْن ، ولا يأكل إلّا بعد يومين أو ثلاثة أَكْلةً ، وإذا غسل ثوبه ينزل في الشّطّ كما هو قائم يفرُكه ، ثم يقف في الشمس حتى ينشف ، وإذا ورد ضيفٌ ، يدور على بيوت أصحابه يجمع الطعام في مئزر(٣).

يوسف بن أسباط :

قال رحمه الله : إني لأشتهي من الله ثلاث خصالٍ : أن أموت حين

---

(١) السير ١٦/٢٣٧ .

(٢) السير ١٦/٣٤٦ .

(٣) السير ٢١/٧٩ - ٨٠ .

أموت وليس في ملكي درهم ، ولا يكون عليَّ دَيْن ، ولا على عظمي لحم . فأُعْطِيَ ذلك كلّه[1].

القاسم بن مخيمرة :

قال القاسم رحمه الله : لم يجتمع على مائدتي لونان من طعامٍ قطُّ ، وما أغلقتُ بابي قط ولي خَلْفَه هَمٌّ[2].

هكذا يكون الزهد :

عن إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال : كنّا نتجالسُ في الجمعة ، فأتى رجل عليه ثوب واحد ، مُلتحِف به ، فجلس إلينا ، فألقى مسألة ، فما زلنا نتكلّم في الفقه حتى انصرفْنا ، ثم جاءنا في الجمعة المقبلة ، فأحببناه وسألناه عن منزله فقال : أنزل الحربية . فسألناه عن كُنيته فقال : أبو عبد الله ، فرغبْنا في مجالسته ، ورأينا مجلسنا مجلس فقهٍ ، فمكثنا بذلك زمانًا ثم انقطع عنّا ، فقال بعضنا لبعضٍ : ما حالنا ، قد كان مجلسنا عامرًا بأبي عبد الله ، وقد صار موحشًا . فوعد بعضُنا بعضًا إذا أصبحنا أن نأتي الحربية ، فنسأل عنه ، فأتينا الحربية ، وكُنّا عددًا ، فجعلنا نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله ، فنظرنا إلى صبيانٍ قد انصرفوا من الكُتّاب ، فقلنا : أبو عبد الله ؟ فقالوا : لعلّكم تعنُون الصّيّاد ؟ قلنا : نعم . قالوا : هذا وقته ، الآن يجيء . فقعدْنا ننتظره ، فإذا هو قد أقبل مئتزرًا بخرقةٍ وعلى كتفه خرقة ، ومعه أطيار مذبَّحة وأطيار أحياء ، فلمّا رآنا تبسَّم إلينا وقال : ما جاء بكم ؟ فقلنا : فقدْناك ، فقد كنت غمرت مجلسنا ، فما غيّبك عنا ؟ قال : إذن أصْدُقكم ، كان لنا جار ، كنت أستعير منه كل يومٍ ذلك الثوب الذي كنت آتيكم فيه ، وكان غريبًا ، فخرج إلى وطنه ، فلم يكن لي ثوب آتيكم فيه . هل لكم أن تدخلوا

---

(١) الإحياء ٢٣٨/٤ .

(٢) السير ٢٠٣/٥ .

المنزل فتأكلوا مما رزق الله عز وجل ؟ فقال بعضنا لبعض : ادخلوا منزله . فجاء إلى الباب فسلّم ، ثم صبر قليلًا ، ثم دخل فأذن لنا ، فدخلنا ، فإذا هو قد أتى بقطعٍ من البواري ، فبسطها لنا ، فقعدنا ، فدخل إلى المرأة فسلّم إليها الأطيار المذبّحة ، وأخذ الأطيار الأحياء ، ثم قال : أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب ، فأتى السوق فباعها واشترى خبزًا ، وقد صنعت المرأةُ ذلك الطير ، وهيَّأتْه ، فقدّم إلينا خبزًا ولحم طيرٍ ، فأكلْنا ، فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء ، فكلّما قام ، قال بعضنا لبعض : رأيتم مثل هذا ، ألا تُغيِّرون أمره وأنتم سادة أهل البصرة ؟ فقال أحدهم : عليّ خمسمائة . وقال الآخر : عليّ ثلثمائة . وقال هذا وقال هذا ، وضمن بعضهم أن يأخُذ له من غيره ، فبلغ الذي جمعوا في الحساب خمسة آلاف درهم ، فقالوا : قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا ، ونسأله أن يُغيِّر ما هو فيه . فقمنا فانصرفنا على حالنا ركبانًا ، فمررنا بالمربد[١] فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظرةٍ[٢] له فقال : يا غلام ، ائتني بإبراهيم بن شبيب ابن شيبة من بين القوم . فجئتُ فدخلت عليه ، فسألني عن قصتنا ومن أين أقبلنا ، فصَدَقْتُه الحديث ، فقال : أنا أسبقكم إلى برّه ، يا غلام ، ائتني ببدرة دراهم . فجاء بها ، فقال : ائتني بغلام فرّاش . فجاء ، فقال : احمل هذه البدرة مع هذا الرجل ، حتى تدفعها إلى من أمرناه. ففرحتُ ثم قمت مسرعًا ، فلمّا أتيت الباب سلّمت ، فأجابني أبو عبد الله ، ثم خرج إليّ ، فلمّا رأى الفرّاش والبدرة على عنقه ، كأني سفَّيْتُ[٣] في وجهه الرماد ، وأقبل عليَّ بغير الوجه الأول ، فقال : ما لي ولك يا هذا ؟ أتريد أن

---

(١) من أسواق العرب المشهورة في البصرة .
(٢) ما ارتفع من البناء مُشرفًا على ما تحته « شرفة » .
(٣) ذَرَوْتُ .

تفتنني ؟! فقلت : يا أبا عبد الله ، اقعد حتى أُخبرك أنه من القصة كذا وكذا ، وهو الذي تعلم أحد الجبَّارين - يعني محمد بن سليمان - ولو كان أمرني أن أضعها حيث أرى ، لرجعتُ إليه ، فأخبرته أني قد وضعتها ، فالله الله في نفسك . فازداد عليّ غيظًا ، وقام فدخل منزله ، وأصفق الباب في وجهي ، فجعلت أُقدِّم وأُؤخِّر ، ما أدري ما أقول للأمير ، ثم لم أجد بدًّا من الصدق ، فجئت فأخبرته الخبر ، فقال : حَرُورِيٌّ والله ، يا غلام ، عليَّ بالسيف . فجاء بالسيف ، فقال له : خُذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل ، فإذا أخرجه إليك ، فاضرب عنقه وائتني برأسه . قال إبراهيم : فقلت : أصلح الله الأمير ، الله الله ، فوالله لقد رأيْنا رجلًا ما هو من الخوارج ، ولكني أذهب فآتيك به . وما أريد بذلك إلّا افتداءً منه . قال : فضمَّنَنِيه فمضيت حتى أتيت الباب ، فسلّمتُ ، فإذا المرأة تحنُّ وتبكي ، ثم فتحتِ الباب ، وتوارتْ ، فأذنتْ لي ، فدخلتُ ، فقالت : ما شأنكم وشأن أبي عبد الله ؟! فقلت : ما حاله ؟ قالت : دخل فمال إلى الرَّكَى ، فنزع منها ماءً ، فتوضأ ، ثم سمعته يقول : اللهم اقبضني إليك ، ولا تفتنِّي . ثم تمدَّد وهو يقول ذلك ، فلحقتُه ، وقد قُضي ، فهو ذاك ميتٌ ، فقلت : يا هذه ، إن لنا قصةً عظيمة ، فلا تُحدثوا فيه شيئًا . فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر فقال : أنا أركب فأُصلِّي على هذا . قال : وشاع خبره بالبصرة ، فشهده الأمير ، وعامّة أهل البصرة ، رحمة الله عليه[1].

عن سلام بن أبي حمزة : قال أيوب : الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء ، أحبُّها إلى الله وأعلاها عند الله ، وأعظمها ثوابًا عند الله تعالى : الزهد في عبادةِ مَنْ عُبد دون الله من كلِّ ملكٍ وصنمٍ وحجرٍ ووثنٍ ، ثم الزهد فيما حرّم الله تعالى من الأخذ والإعطاء . ثم يقبل علينا فيقول : زهدكم هذا

---

(١)

يا معشر القُرّاء فهو والله أخسُّه عند الله ، الزهد في حلال الله عز وجل .

وعن عمارة بن غزيّة قال : سمعت رجلًا سأل ربيعة فقال : يا أبا عثمان ، ما رأس الزّهادة ؟ قال : جمع الأشياء من حلِّها ، ووضعها في حقِّها .

وقال سلام بن أبي مطيع : الزاهد على ثلاثة وجوه : واحد:أن تُخلص العمل لله ، والقول ، ولا يُراد بشيءٍ منه الدنيا . والثاني : تركُ ما لا يصلُح ، والعمل بما يصلح . والثالث : الحلال ، وهو أن يزهد فيه ، وهو تطوُّع ، وهو أدناها .

قال سفيان بن عيينة : الزهد في الدنيا الصبرُ ، وارتقاب الموت .

وقال الفضيل : عامّة الزهد : في الناس . يعني إذا لم يحب ثناء الناس عليه ، ولم يُبالِ بمذمَّتهم .

وقال : إن قدرتَ أن لا تُعرف فافعل ، وما عليك إن لم يُثنَ عليك ، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت عند الله محمودًا .

وقال : من أحبَّ أن يُذكر لم يُذكر ، ومن كره أن يُذكر ذُكِر .

أخي : لو سقطت قلنسوة من السماء ما سقطت إلا على رأس من يقول بها هكذا وهكذا - يعني لا يريدها -.

وقال وهيب بن الورد المكي : الزهد في الدنيا أن لا تأسَى على ما فاتك منها ، ولا تفرح بما آتاك منها .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنتم أكثر صيامًا وأكثر صلاةً ، وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم كانوا خيرًا منكم . قالوا : لِمَ يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : هُمْ كانوا أزْهَدَ في الدنيا ، وأرْغَب في الآخرة .

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، في مرضه الذي مات فيه : لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يومٍ من الدنيا ، وأوَّل يوم من الآخرة ،

لم أتكلَّم به ، اللهم إنَّك تعلم أني كنت أحبُّ الفقر على الغنى ، وأحب العُزلة على العزّ ، وأحب الموت على الحياة ، حبيبٌ جاء على فاقةٍ ، لا أفلحَ مَنْ ندم . ثم مات رضي الله عنه .

قال الحسن البصري يعظ أصحابه : والله لقد صحبْنا أقوامًا كانوا يقولون : ليس لنا في الدنيا حاجة ، ليس لها خُلِقْنا . فطلبوا الجنة بغدوهم ورواحهم ، نعم والله ، حتى أهراقوا فيها دماءهم ، فأفلحوا ونجوْا ، هنيئًا لهم ، لا يطوي أحدهم ثوبًا ، ولا يفترشه ، ولا تلقاه إلّا صائمًا ذليلًا ، متبائسًا خائفًا ، إذا دخل إلى أهله إن قُرّب إليه شيءٌ أكله ، وإلا سكت، لا يسألهم عن شيء ، ما هذا وما هذا . ثم قال :

ليس مَنْ مات فاستراحَ بمَيْتٍ إنما المَيْتُ ميِّتُ الأحياءِ

داود الطائي :

عن أحمد بن ضرار العجلي قال : أتيتُ داود الطائيَ وهو في دارٍ واسعةٍ خربة ليس فيها إلّا بيت ، وليس على بيته باب ، فقال له بعض القوم : أنت في دار وحشة ، فلو اتخذتَ لبيتك هذا بابًا ، أما تستوحش ؟ فقال : حالت وحشةُ القبر بيني وبين وحشةِ الدنيا .

أحمد بن حنبل :

عن علي بن المديني قال : دخلت منزل أحمد بن حنبل ، فما في بيته إلّا بما وُصِف به بيت سويد بن غفلة ، مِن زهده وتواضعه .

طاووس :

عن سفيان بن عيينة قال : جاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جنب طاووس ، فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه . قال : أردتُ أن يعلم أن لله عبادًا يزهدون فيما في يديه .

زهدهم في الطعـام :

عن أبي الأبيض المدني رضي الله عنه ، أنه قال : إن أقرَّ أيامي لعينيَّ ، يومَ أرجع إلى أهلي وهم يشكون الحاجة .

وقال عبد الواحد بن زيد : ما للعاملين والبِطْنة ، إنما العامل تجزيه العُلْقَة التي تقوم برَمَقه .

وقال الحسن : والله أدركت أقوامًا ، إنْ كان أحدهم ليأكل غداءً ، فما عسى أن يُقارب شبعه ، فيمسك .

وقال : والله لأن ينبذ رجل طعامه للكلب ، خيرٌ له من أن يأكل فوق شبعه .

قالوا لحكيم : فلانٌ يأكل في اليوم ثلاث مرات . قال : قولوا لأهله يبنوا له معلفًا .

قال (**أبو بكر بن عياش**) : من عظّم صاحبَ دنيا ، فقد أحدثَ حدثًا في الإسلام .

الحسـن :

وعن محمد بن معاوية الأزرق قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : « عظني وأوجز » . فكتب إليه « أن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يديك : الزهد في الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكُّر ، والتفكّر بالاعتبار ، فإذا أنت فكّرت في الدنيا لم تجدْها أهلًا أن تتبع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلا أن تُكرمها بهوان الدنيا ، فإن الدنيا دار بلاءٍ ومنزل قُلْعَة[١] » .

(١) أي انقطاع وارتحال .

وكتب الحسن أيضًا إلى عمر : أما بعد ، فإن الدنيا مشغلةٌ للقلب والبدن ، وإن الزهد راحةٌ للقلب والبدن ، وإن الله سائلنا عن الذي نعمنا في حلاله ، فكيف بما نعمنا في حرامه !

وعن الحسن قال : والله لقد أدركتُ أقوامًا ، إن كان أحدهم لتكون به الحاجة الشديدة وإلى جنبه المال الحلال ، لا يأتيه فيأخذ منه ، فيُقال له : رحمك الله ، ألا تأتي هذا ؛ فتستعين به على ما أنت فيه ؟ فيقول : لا ، والله إني أخشى أن يكون فساد قلبي وعملي[1] .

السّـرِيّ :

قال السريُّ : خمسٌ من أخلاق الزُّهّاد : الشكر على الحلال ، والصبر عن الحرام ، ولا يُبالي متى مات ، ولا يُبالي من أكل الدنيا ، ويكون الفقر والغنى عنده سواء[2] .

الزُّهْـرِي :

قال سفيان بن عيينة : سمعت الزهريَّ ، وقد سأله رجل ، فقال : يا أبا بكر ، مَنِ الزاهد ؟ قال : الذي لا يغلب الحرامُ صبره ، ولا يمنع شكرَهُ . قال ابن عيينة : ما سمعت في الزهد قط شيئًا أحسن من هذا[3] .

يحيى بن معاذ الرازي :

قال يحيى بن معاذ الرازي : الزهد يُورث السَّخاء بالملك ، والحب يورث السخاء بالرُّوح .

وقال : لا يبلغ أحدٌ حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال : عملٌ بلا علاقة ، وقولٌ بلا طمع ، وعزٌّ بلا رياسة .

---

(١) الزهد الكبير ص٩٥ .

(٢) الزهد الكبير للبيهقي ص٩٧ .

(٣) الزهد الكبير ص٩٧ ، وجامع بيان العلم وفضله ٢/ ٢٠ .

وقال : الزاهد يُسْعِطك الخلَّ والخَرْدَل ، والعارف يُشِمُّك المسك والعنبر .

وقال رجل ليحيى : متى أدخُلُ حانوت التَّوكُّل ، وألبس رداء الزاهدين ، وأقعد معهم ؟ فقال : إذا صرت من رياضتك لنفسك إلى حدّ لو قطع الله الرزق عنك ثلاثة أيامٍ ، لم تضعف نفسك ، فأمّا ما لم تبلغ إلى هذه الدرجة ، فجلوسك على بساط الزاهدين جهلٌ ، ثم لا آمن عليك أن تفتضح[(١)] .

قال يحيى : الزاهد الصادق: قُوتُه ما وجد ، ولباسه ما سَتَر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فِكرته ، والقرآن حديثه ، والرَّبُّ أنيسُه ، والذِّكْر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكُّل حسْبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى[(٢)] .

وقال رحمه الله : الزهد ثلاثة أشياء : القلة والخلوة والجوع .

فتأسّ يا أخي بنبيك الأطهر ﷺ ، فإن فيه أُسوةً لمن تأسَّى ، وعزاءً لمن تعزَّى ، وأحب العباد إلى الله المُتأسِّي بنبيه والمُقتصّ لأثره .

قَضَم الدنيا قضْمًا ولم يُعِرْها طرْفًا ، كان يأكل على الأرض ، ويجلس جلسة العبد ، ويخصف بيده نعله ، ويرقّع بيده ثوبه ، ويركب الحمار العاري ، ويُردف خَلْفَهُ ، أعرض عن الدنيا بقلبه ، وأمات ذكرها من نفسه ، وأحبّ أن تغيب زينتُها عن عينه ، لكي لا يتّخذ منها رِياشًا ، ولا يعتقدها

(١) المدارج ٢/١١ - ١٢ .

(٢) الإحياء ٤/٢٤٦ .

قرارًا ، ولا يرجو فيها مقامًا ، فأخرجها من النفس ، وأشخصها[١] عن القلب ، وغيّبها عن البصر ، وكذلك من أبغضَ شيئًا ، أبغض أن ينظر إليه ، وأن يُذكر عنده .

جاع رسول الله ﷺ مع خاصّته[٢] ، وزُوِيت عنه زخارفُها مع عظيم زلفته ، فلينظر ناظرٌ بعقله : أكرم الله محمدًا ﷺ بذلك أم أهانه ؟ فإن قال : « أهانه » ، فقد كذب وأتى بالإفك العظيم . وإن قال : « أكرمه » ، فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له ، وزواها عن أقرب الناس منه ، فتأسّى مُتأسٍّ بنبيه ﷺ ، واقتص أثره وولج مولجه ، وإلا فلا يأمن الهلكة ، خرج من الدنيا خميصًا ، وورد الآخرة سليمًا ، لم يضع حجرًا على حجر ، حتى مضى لسبيله ، وأجاب داعي ربه .

فما أعْظَمَ منّة الله عندنا حين أنعم علينا به سَلَفًا نتّبعه ، وقائدًا عظيمًا نطأ عَقِبَهُ[٣] .

قال ذو النون المصري : « تجوَّعْ ، وتخلَّ ، وتفرَّد ، واضجرْ ، ترى العَجَب »[٤] .

وقال أيضًا ، رحمه الله : « ما رجع من رجع إلّا من الطريق ، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا ، فازهد يا أخي ترَ العجب »[٥] .

---

(١) أبْعَدَها .

(٢) أي مع خصوصيته وفضله عند ربه .

(٣) العقب : مؤخر القدم ، ووطء العقب : مبالغة في الاتّباع والسلوك على طريقه ، نقفوه خطوةً خطوةً ، حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه .

(٤) الزهد الكبير ص١٠١ .

(٥) الزهد الكبير ص٨٨ .

ونختم بما قاله علي ، رضي الله عنه : والله لقد رقّعت مِدْرَعتي[1] هذه حتى استحييتُ من راقعها ، ولقد قال لي قائل : ألا تنبذها عنك ؟ فقلت : اغرُب عني ، فعند الصباح يحمد القومُ السُّرَى .

* * *

---

(١) المِدْرَعَة : ثوب من صوف .